جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص : أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطلبة:

فتح الله مهني

عجال سلمى

تجليات المكان في روايتي عبد الرحمن مجيد الربيعي

"الوشم-القمر والأسوار"

لجنة المناقشة:

لحسن عزوز	أستاذ مساعد أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
رحماني علي	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا ومقررا
كلفالي سمحية	أستاذ محاضر ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2020/2019

مقدمة

مقدمة

حاجة الإنسان إلى رواية الأحداث التي تقع له و دفع الآخرين إلى مشاركتها ونقل تجاربه و أحاسيسه إليهم تعد من الحاجات الفطرية له لذلك احتلت الرواية مكانة واهتماما داخل حقل الإبداع الأدبي والفني و الثقافة العربية المعاصرة بوجه عام فمند النشأة الأولى للرواية ولاسيما الحديثة منها و نحن نجدها الأقرب إلى الواقع والبيئة التي تصدر عنها، فالرواية تشكيل للحياة.

و يمكن أن نشير إلى أن الرواية العراقية ارتبطت على اختلاف مراحلها و أجيالها بالبيئة و الواقع الذي صدرت عنه، و كأننا دائما مع كل رواية منها أمام وثيقة تاريخية و اجتماعية ودراسة غير مباشرة للمجتمع العراقي على اختلاف طبقاته أو المراحل الظرفية التي مرّ بها.

وبطبيعة الحال فإن الرواية يرتكز بناءها الفني والمتكامل على الحدث من خلال تصويره لمختلف الشخصيات الروائية و تفاعلها مع الحدث داخل المكان الذي تدور فيه الأحداث بوصفه العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض فهو مكون جوهري من مكوناتها .

ونتيجة للأهمية التي يشكلها المكان في العمل الروائي،فقد قمنا بدراسته في ضوء ارتباطه و تفاعله مع أبنية النص، والبحث عن تشكيلاته وأنماطه و أدوات بنائه، و من ثم كيفية ارتباطه و علاقته بالعناصر السردية الأخرى التي يتألف معها ليشكل البنية الكلية للرواية.

وقد اخترنا لبحثنا هذا نصوصا روائية للقاص و الروائي العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعيو سبب اختيارنا لروايتيّ الربيعي يعود،أولا: لاهتمامنا بالشكل الروائي العراقي الذي أثبت رغم حداثته كفاءته و أهميته في سياق تطور الأدب العربي، و ثانيا:البناء المميز لروايات الربيعيإذ تخلصت رواياته من النظام السردي المألوف، مما يفتح أمام الباحث و الدارس آفاقا واسعة للتعامل نقديا مع مكونات نصوصه الروائية و أبنيتها، ومن الجدير بالذكر أن الدراسات المتعلقة بدراسة المكان تعد حديثة العهد، ومن هذا كله نبعت الحاجة لدراسة المكان في روايتيّ عبد الرحمن مجيد الربيعي.

ومن هنا ينطلق البحث من إثارة إشكالية المكان ودلالاته في روايتي"**الوشم**" و "**القمروالأسوار**" ،ويهدف إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما المكان؟ و هل يختلف مفهومه باختلاف الدارسين و ما هي مستوياته؟

تجليات هذا العنصر في النص الروائي؟

و كيف تم توظيفه بنائيا و جماليا؟

هل المكان لدى الروائي مجرد؟ أم ذو حمولات نفسية و اجتماعية و تاريخية؟

علاقة المكان بالأبنية السردية الأبنية السردية الأخرى.

وقد استدعت طبيعة البحث أن ينظم في فصلين مسبوقين بمدخل و تليهماخاتمة أوجزنا فيها أهم النتائج التي تمخض عنها بحثنا، ثم اتبعناها بملحق عرفنا فيه بالراوي عبد الرحمن مجيد الربيعي ثم قراءة وملخص للروايتين دون إغفال قائمة المصادر والمراجع التي كانت في نهاية البحث.وجاءت الخطة كالآتي:

مقدمة

المدخل: ماهية المكان

1-المكان

أ- لغة

ب-اصطلاحا

2-مفهوم المكان الروائي: الفضاء

أ-الفضاء الروائي

ب- الحيز الروائي

الفصل الأول : أنماط المكان وأهميته في روايتيّ الربيعي

تمهيد

1- ثنائية المكان المفتوح والمغلق

أ- المكان المفتوح

ب- الأماكن المغلقة

2- أهمية المكان

الفصل الثاني: علاقة المكان بمكونات السرد

تمهيد

1-علاقة المكان بالزمان

2-علاقة المكان بالشخصية

3-علاقة المكان بالأحداث

الخاتمة

واعتمدنا في هذا البحث على عدة مراجع من بينها :

- رواية القمر والأسوار لعبد الرحمن مجيد الربيعي
- رواية الوشم لعبد الرحمن مجيد الربيعي
- كتاب شعرية الفضاء السردي لحسن نجمي
- كتاب بنية النص السردي لحميد حميداني
- كتاب جماليات المكان لغاستون باشلار

وغيرها من المراجع التي أنارت لنا السبل خلال انجاز الموضوع ، ولعل من أهم الصعوبات التي واجهتنا في انجاز بحثنا تشعب موضوع المكان وصعوبة الإلمام به، وكذلك تحديد وفرز العناصر المتعلقة بموضوع البحث التي وقفت حاجزا في طريقنا.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذنا "**علي رحماني**" الذي تفضل بقبول الإشراف على البحث وأحاطه بالعناية والاهتمام وكذا جهده وصبره معنا، بفضل نصائحه وتوجيه تم إنجاز هذا البحث المتواضع، كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا في انجازه ونخص بالذكر الأستاذ المحترم "مباركي جمال" الذي ساعدنا بمجموعة من المراجع ، كما لا ننسى عمال المكتبة على مختلف التسهيلات، ورجاءنا أن تنال هاته الدراسة بعض الرضا والقبول ، ونرجوا من الله التوفيق و السداد

المدخل

ماهية المكان

1-المكان

أ- لغة

ب-اصطلاحا

2-مفهوم المكان الروائي: الفضاء

أ-الفضاء الروائي

ب- الحيز الروائي

1-المكان

أ-لغة: لا بد لنا في بدء حديثنا عن مفهوم المكان ودلالته من أن نقف على دلالته اللغوية والاصطلاحية، إذ لا يتم تأسيس أي مفهوم أدبي أو ثقافي إلا عبر اللغة.
وعند وقوفنا على مفهوم المكان لغويا في القرآن الكريم نجدها تحمل دلالات ومعاني مختلفة.

فمنها ما يأتي بمعنى الموضع أو المحل كقوله تعالى:﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا** ﴾[1]

أي موضعا ومحلاومنها ما جاء بمعنى "المنزلة" كما في قوله تعالى:﴿**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا**﴾[2] وتعني شر مكانا أي منزلة.

بينما وردت في مواضع أخرى بمعنى بدل مثل قوله تعالى:﴿ **قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[3] هنا المكان تعني بلا منه.

وقال أيضا:"﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[4].

وللمكان مرادفات تستعمل في اللغة للدلالة عليه، ومنها المحل والموضع والحيز والملأ والأينوالخلأ، ومن الملاحظ أن المعجمات اللغوية لم تبحث في هذه المفردات إلا بقدر تعلقها باللغة واشتقاقاتها المتعددة.

أورد ابن المنظور لغة "مكان تحت الجذر لكون من الكون (الحدث) وأعاد الحيث عنه تحت الجذر(مكن) فقال والمكان الموضع والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع قال ثعلب:

[1]- سورة مريم الآية 16
[2]- سورة مريم الآية 75
[3]- سورة يوسف الآية 78
[4]- سورة النحل الآية 106

يبطل أن يكون مكان فعلان لأن العرب تقول كن مكانك وقم مكانك واقعد مكانك فقد دل هذا على أنه مصدر مكان أو موضع منه .[1]

ويذهب ابن سيده إلى أن المكان«جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة أصلية، لأن العرب تشبه الحرف بالحرف، كما قالوا منارة، ومنائر، فشبهوها بفعالة، وهي مفعلة من النور وكان حكمه مناور.»[2]

ويرى الليث أن المكان هو" اشتقاقه من كان يكون ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية "[3]

ويذهب ابن بري إلى أن :"مكين فعيل، مكان فعال، ومكانة فعالة ليس بشيء منهما

من الكون، فهذا سهو وأمكنة، أفعلة، وما تمكن فهو تفعل كمتدرع مشتق من المدرعة بزيادة، فعلى قياسه،يجب في تمكن لأنه تَفعّلَ على اشتقاقه لا تمّكَّن،و تمكن وزنه تفَعّلَ وهذا كله سهو وموضعه فصل الميم من باب النون» [4].

وفي قاموس محيط المحيط جاء تعريف المكان كالآتي: المكان الموضع أو هو مفعل من الكون جمع أمكنة وأماكن وأمكن قليلا ويقال هذا مكان هذا أي يدله، وكان من العلم والعقل بمكان أي رتبة ومنزلة المكان[5]

إذن من خلال ما سبق نستنتج أن المكان لدى اللغويين وكما ورد في كتابه العزيز : هو الموضع المشغول والذي يدل المنزلة والمكانة.

[1]-أبو الفاضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي ابن منظور لسان العرب، المجلد 6، دار صادر للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ط 1 ، 1997 ص83.

[2]- المصدر نفسه، ص 83

[3]- السيد محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، المجلد 18، دار الفكر للطباعة و النشرو التوزيع ، بيروت لبنان ، ط 1994، ص487- 488

[4]- المصدر نفسه، ص488

[5]-المعلم بطرس البستاني محيط المحيط ، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلخ بيروت، ط1991، ص109.

ب–اصطلاحا:

مرّ المكان بنحو عام بسلسلة من المراحل التطورية تمثل بحد ذاتها متغيرات تاريخية في تجربة الإنسان وتعامله مع الطبيعة،فالطبيعة بتضاريسها شكّلت المكان الأول الذي أحس به الإنسان وألفه.

فقد تناول الفكر الإنساني الظاهرة المكانية قديما وحديثا وأدرك الإنسان أثر المكان في حياته لأن « إدراك الإنسان للمكان مباشروحسي، وصراعه معه ما هو إلا تأكيد لذاته وتأصيل لهويته، فبقدر إحساس الإنسان بالمكان تكمن أهميته ووجوده (...) لأن وجوده في المكان يستمر معه طوال عمره فلا تكتسب الذات أهميتها إلا من خلال تفاعلها مع المكان الموجودة فيه»[1].

جاء في المعجم الفلسفي ما يلي:«المكان هندسيا وسط غير محدود يشتمل على الأشياء وهو متصل ومتجانس لا تميز بين أجزائه وذو أبعاد ثلاثة هي الطول والعرض والارتفاع ويمكن بناء أشكال متشابهة فيه »[2].

اذن فقط جاء المكان في المعاجم الفلسفية بمعنى الموضوع الذي يحتوي سطح الجسم ويشغله.

بعد ظهور الفلسفة أخد المكان يتسم بشيء من التحديد والوضوح ويعد أفلاطون أول من وضع مفهوما اصطلاحيا للمكان في الفلسفة فعده«حاويا وقابلا للشيء»[3].

أي أن المكان يحوي الأشياء ولا يستقل عنها ويقبلها، ويتشكل ويتحدد بها ومن خلالها وهو بذلك«لا يقبل الفساد ويوفر مقاما لكل الكائنات ذات الصيرورة والحدوث»[4] وهو ليس بالقديم بل حادث:«اقتضته ضرورة وجود العالم كالزمان .....وهو باق ببقاء الزمان والسماء ومصيره مرتبط بمصيرها دواما وزوالا».[5]

1–صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط1، دار مجد لاوى، عمان 2006، ص95

2–مجمع اللغة، المجمع الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، دط، 1983، ص191

3–ينظر:حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، يغداد، العراق ط1، 1987، ص28.27.

4–المرجع نفسه، ص نفسها

5–المرجع نفسه، ص نفسها

و يلخص عبد الرحمن بدوي في «موسوعة الفلسفة» فكرة المكان لدى أرسطو في أنه الحاوي الأول وهو ليس جزء من الشيء لأنه مساو للشيء المحوي وفيه الأعلى والأسفل وهناك المكان الخاص والذي يحويك لا أكثر منك والمكان المشترك الذي يكون حيز لجسمين أو أكثر[1].

نفهم من هذا القول أن أرسطو قسم المكان إلى قسمين مكان مشترك أو عام ويوجد فيه أكثر من جسم واحد، ومكان خاص يوجد فيه كل جسم على حدة..

وقد أخذ الفلاسفة العرب بموقف أرسطو طاليس من المكان،فقد تابعه كل من الكندي والفارابي، فيما وقف أبو بكر الرازي والحسن بن الهيثم موقفا مضادمن موقف أرسطو للمكان[2].

ومن ثم احتل المكان دورا متميزا من حيث عناية الفلاسفة والدارسين به، وإن اختلفوا في تحديدهم له.

وإذا بحثنا عن نصيب عنصر المكان من الدراسة والبحث في الحقل النقدي فلا بدّ من الاشارة إلى قصور النقد الأدبي العربي والغربي في دراسته للمكان إذاقيس بالزمان، فقد ظل« دور المكان ثانويا فيما أعطيت الأولوية للزمان».[3]

ولعل عزوف النقد عن تناول عنصر المكان على نحو موسع ناتج عن ضمور هذا العنصر في النتاج الأدبي ولا سيما في الرواية التقليدية (الكلاسيكية).

وأساس هذه الرؤية قائم على كون الرواية آنذاك زمانية لا مكانية، والروائي كان يعتني بالزمن وصورة توالي الأحداث أكثر من عنايته بالمكان وما يتصل به من أحداث، وكانت الرواية تهتم بوقع الأحداث على وفق التسلسل الزمني (ماضي، حاضر، مستقبل) من دون مراعاتها لمكان الأحداث أو مراعاة لطبيعة الشخصية.

ومن الدارسين الذين تبنوا هذا المصطلح نجد غاستونباشلار الذي يعد المكان أكثر اتساعا من الحيز ويعتبره«كونا حقيقيا بكل ما للكلمة من معنى»[4]، ولتحديد مدى الترابط مع المكان يذهب باشلارإلى أن «المكان الذي ينجذب نحوه الخيال يمكن أن يبقى مكانا لاجماليا ذا أبعاد هندسية

1-عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1 ، 1984 ، ج11 ، ص 461

2-مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ص33

3-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران، الجزائر، ط2005، ص146

4-غاستونباشلار، جماليات المكان، تر، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدراسات و النشر و التوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1984، ص36.

وحسب،فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بلما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية»[1]، فالمكان في نظر باشلارلا يمثل الأماكن المادية المحدودة فحسب بل يتسع ليشمل الأماكن الخيالية أيضا على مستوى الرواية.

أما يوري لوتمان فقد درس المكان دراسة فنية عميقة، وقام بتطبيق دراسته على بعض النصوص الشعرية من خلال مقال له بعنوان «مشكلة المكان الفني».

ويمكننا تلخيص رأيه في المكان بشكل عام من خلال قوله:«المكان هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة)تقوم بينها علاقة شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية (مثل الاتصال المسافة.....الخ) ويجب أن نضيف إلى هذا التعريف ملحوظة هامة هو أننا إذا نظرنا إلى مجموعة الأشياء المعطاة على أنها مكان يجب أن تجرد هذه الأشياء من جميع خصائصها، ماعدا تلك التي تحددها العلاقات ذات الطابع المكاني».[2]

من هذا التعريف نفهم أن المكان الفني لدى لوتمان يختلف من حيث المميزات عن الأماكن العادية المألوفة لأنه يحمل تيهات متنوعة حسب مقصدية الشاعر أو الكاتب.

وفي هذا الصدد نشير إلى «غريماس» الذي بحث في مفهوم المكان من خلال أعماله التي تصب في المجال السردي ،ويربط غريماس مفهوم المكان بالخطاطة السردية، وبذلك يتوسع المكان كسلسلة من المحطات التي لا وظيفة لها إلا من بتفاعلها مع رحلة البطل...

ويبقى لكل مكان يتردد عليه أبطال الرواية دلالات خاصة وبالتالي يخرج المكان من كونه مجرد كلمات تتضمنها الرواية إلى مكان أوسع متصل مع العالم الخارجي.[3]

ويجدر بنا أن نشير إلى "ياسين النصير" الذي اعتبر المكان هو الكيان الاجتماعي الذي يحوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ومنذ القدم وحتى الوقت الحاضر كان المكان هو« القرطاس المرئي القريب الذي سجّل الإنسان عليه ثقافته وفنونه وفكره فالإنسان ابن بيئته يتأثر ويؤثر فيها، وهو جزء لا يتجزأ من حياته، إذ يعتبر المكان حاضره وماضيه الذي يسجل فيه ثقافتهوتفكيره

1- المرجع نفسه، ص31

2-لوتمان يوري، مشكلة المكان الفني(المكان و الدلالة)، تر:سيزا قاسم، مجلة ألف، العدد6، 1986 ، ص89.

3-مدقن كلثوم، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال ضمن مجلة الأثر جامعة ورقلة عدد4، ماي 2005ص142

وكل ذكرياته»[1] وعليه فإن ياسين النصير يرى أن مفهوم المكان كيانا اجتماعيا أي أنه وسط يتفاعل فيه الإنسان مع غيره، حيث ينقل مختلف التعاملات التي تنظم العلاقات البشرية.

ويؤكد الناقد "حميد لحميداني" أن المكان:«يمكن أن يكونفقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي، وهناك أسئلة أساسية تنبغي إضافتها ، وهي أن الحديث عن مكان محدد في الرواية يفترض دائما توقفا زمنيا لصيرورة الحدث.»[2]

والمكان عنصر من عناصر المشكلة والعمل الروائي:«لذا تعد دراسة المكان كعنصر بنائي يساهم في تشييد الرواية ضرورة لكشف ومعرفة خصائص هذا الفن وما يميزها من روائي إلى آخر».[3]

وفي عنصر آخر يؤكد الشريف حبيلة أن المكان عنصر أساسي في العمل الروائي:«المكان لم يعد عنصرا ثانويا في الرواية فقد صار عنصرا أساسيا للعمل الروائي يتخذ أشكالا ويحل دلالات مختلفة يكشفها التحليل والدراسة وفق تصورها يخضع لمبدأ القطبية القائمة على ثنائية التضاد تتقابل معبرة عن العلاقات التي تربط الشخصيات بمكان تحركها أو عيشها تبعا للثقافة والعادات والأفكار والسلوكيات السائدة فيه».[4]

ومن الملاحظ أن المكان لم يعد حيزا جغرافيا له حدود وأبعاد فقد أصبح للمكان خباياه وأسراره وجمالياته، ويحمل أبعاد نفسية وروحية واجتماعية.

فقد أورد الجرجاني تعريفين هما:«المكان المبهم والمكان المعين»[5] والمكان المبهم عنده «عبارة عن مكان له اسم نسميه به بسبب أمر غير داخل في مسماه كالخلق.....والمكان المعين هو عبارة عن مكان له اسم سُمي به بسبب أمر داخل في مُسماهكالدارفإن تسميته بسبب الحائط والسقف وغيرهما وكلها داخلة في مُسماه »[6].

1–-ياسين النصير، الرواية و المكان، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، (د، ط)1980 ص17

2–حميد لحميداني، بنية النص السردي"من منظور النقد الأدبي"، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع، الدار البيضاء، الدار البيضاء، المغرب. ط3. 2000. ص63.

3–الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي ، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث اربد، ط1، 2009، ص189 .

4– المصدر نفسه، ص8

5–ينظر: الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، تحقيق:ابراهيم الأنباري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1998، ص 192–293.

6–المصدر نفسه، ص292

وقد وجد الجرجاني أن المتكلمين عرفوا المكان بأنه«الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده»[1]حيث بحث في مفهومه للمكان ودلالاته.

يعرف الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض المكان بقوله : «هو كل ما عنى حيزا جغرافيا حقيقيا،من حيث نطلق على الحيز في حد ذاته فضاء جغرافي أو أسطوري أو كل ما يند عن المكان المحسوس كالخطوط والأبعاد،والأحجام والأثقال، والأشياء المجسمة .....مثل الأشجار والأنهار وما يعتري هذه الظاهرة الحيزية من حركة أو تغيير»[2].

ومنه فعبد المالك مرتاض قد ربط المكان بالحيز واعتبره كل جغرافيفيقول:

«لقد خضنا في أمر هذا المفهوم، وأطلقنا عليه مصطلح الحيز مقابلا للمصطلحين في كتاباتنا الأخيرة(espace-space)الفرنسي والإنجليزي»[3].

2-مفهوم المكان الروائي: الفضاء

يعتبر الفضاء جمالية الكتابة الروائية، فهو يوصف بكونه مجالا للحدث الروائي، وجيز تتحرك ضمنه شخصيات الرواية من حيث تفاعلها مع الفضاء الّذي تعيش فيه حيث ينتج رؤية خاصة وبهوالفضاء من المصطلحات النقدية التي دخلت عالم الدراسات والبحوث حديثا وفرضت نفسها بقوة بعد أن أهملت سابقا، والفضاء عنصر من عناصر النص الروائي،"ولقد أولاه قلة من الباحثين اهتماما لائقا، لأنه يمثل إلى جانب الشخصية والزمن الروائي والحدث الأسس الفنية والجمالية التي ينص عليها المتن الروائي"[4].

وقد شغل مفهوم الفضاء حيزا كبيرا من تفكير بعض الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ وذلك كون الفضاء والمكان والحيز مفاهيم أساسية ، كما أبرزت الدراسات النقدية أهميته، وقد عرف الفضاء الناقد "حسن نجمي" في كتابه **شعرية الفضاء«على أنه فضاء تنتظيم فيه الكائنات والأشياء**

1-المصدر نفسه، الصفحة نفسها

2-عبد المالك مرتاض:تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لزقاق المدن، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1995، ص245.

3-عبد المالك مرتاض:في نظرية الرواية"بحث في تقنيات السرد"، ص121

4- فيصل الأحمر، معجم السينمائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2001، ص123.

والأفعال، معيار لقياس الوعي والعلائق والترتيبات الوجودية والاجتماعية والثقافية ومن ثم تلك التقاطبات التي انتهت إليها الدراسات الأنثروبولوجية في وعي وسلوك الأفراد والجماعات»[1].

يقول جرار جنيت«**ان استعمال الفضاء يتعدى بكثسر مجرد الاشارة إلى المكان أو من الأمكنة، ان الفضاء يخلف نظاما داخل النص مهم بدأ في الغالب كأنه انعكاسي صادق لخارج عن النص يدعي تصويره»**[2].

بمعنى "أن الفضاء أشمل وأوسع من المكان والمكان هو مكون الفضاء ومادامت الأمكنة في الرواية غالبا ما تكون متعددة وترد متفاوتة، فان فضاء الرواية يجمعها لها، فهو العالم الواسع الّذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالساحة أو المقهى أو المنزل كل منها يعتبر مكان محددا، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأماكن كلها فان جميعها يشكل فضاء الرواية"[3] .

كما أن الكاتب "ميشال بوتور" يرى «**أن الفضاء الروائي يتحكم فيه فضاء القراءة حيث أن مجموع العلائق الفضائية القائمة بين الشخصيات والمغامرات التي تحكي لي لا تستطيع أن تصل إلي بواسطة مسافة اتخذها بالنسبة للمكان الّذي يحيط بي عندما أقرى غرفة في رواية معينة فان الأثاث الموجود أمام عيني وبدون أن أنظر إليه يتناسى أمام الأثاث الّذي ينجس أو يرشح من العلاقات المرسومة على الصفحة»**[4] .

أ–الفضاء الروائي: تشكلبنية المكان الروائي بعدا جوهريا في الدراسات السردية عموما أو الروائية خصوصا، نظرا لأن المكان يسهم في تطوير الإبداع الروائي، فلا الأحداث ولا الشخصيات يمكن أن تلعب أدوار هامة في الفراغ ودون المكان، ومن هنا تأتي أهمية المكان لا بوصفه خلفية للأحداث

[1]– حسن نجمي، الشعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، دط، 2000، ص05.

[2]– جرار جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص20.

[3]– كلثوم مدقن، دلالة المكان في الرواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، مجلة الأدب واللغات ، جامعة ورقلة ، الجزائر، العدد4، ماي2005، ص140.

[4]– حسن نجمي، الشعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية، المرجع السابق، ص80.

فحسب بل بوصفه عنصرا حكائيا قائما بذاته إلى جانب العناصر الأخرى المكونة للرواية وقد بنى "حميدالحميداني" تصوره للمكان، يطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي[1].

يعتبر الفضاء أعمق من مصطلح المكان وهذا ما أثبتته بعض النقاد من بينهم الناقد "سعيد يقطين"حيث نجدأنهتبنى مصطلح الفضاء، ويظهر هذا في قوله " **أن الفضاء أهم من المكان لأنه يشير إلى ماهو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وان كان أساسا، أنه يسمح لنا بالبحث من فضاءات تتعدى المحدود والمجسد بمعانقة التخيلي والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء**"[2].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن مصطلح الفضاء أوسع وأشمل من مصطلح المكان فيصف فضاء الرواية بأنه يسمح بالتحديد الجغرافي.

نجد أن الفضاء هنا معادل لمفهوم المكان في الرواية، ولا يقصد به بالطبع المكان الّذي تشغله الأحرف الطباعية، التي كتبت بها الرواية، ولكن ذلك المكان الّذي تصوره قصتها المتخيلة"[3].

وهناك من يشك أن الفضاء الجغرافي يمكن أن يدرس بكل حرية وهذا ما يوضحه حميد الحميداني «**هناك من يعتقد أن الفضاء الجغرافي في الرواية يمكن أن يدرس في استقلال كامل عن المضمون تماما، مثل مايفعل الاختصاصيون في دراسة الفضاء الحضري، فهؤلاء لا يهمهم من سيسكن هذه البينات، ومن سيسير في هذه الطرق، ولا ماسيحدث فيها، ولكن يهمهم فقط أن يدرسوا بنية الفضاء الخالص**»[4]

ب– الحيز الروائي:

[1]– أحمد محمود فرح، البنية السردية في النص العجائبي، دراسة في القص العربي حتى نهاية القرن السابع (معالجة فنية تحليلية)، مؤسسة حوس الدولية للنشر، الإسكندرية ، مصر، 2016، ص279.

[2]– سعيد يقطين، قال الرواي ، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص240.

[3]– حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط3، 2000، ص54.

[4] – المرجع نفسه، ص54.

يعتبر الحيز مكون أساسيا في بناء الرواية، فالحيز الأدبي عالم دون حدود وبحر دون ساحل وليل دون صباح ونهار بلا مساء، انه امتداد مستمر مفتوح على جميع الاتجاهات وفي كل الآفاق[1].

فمن الحيز تسير الشخصيات وتنطلق الأحداث، والحيز ليس عنصرا زائد في الرواية فهو يتخذ أشكالا ومعاني عديدة بل ويكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله[2].

يعد تناول الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" في دراساته المختلفة للحيز، التي لم يجد عنها طول مسيرته النقدية، نظير مصطلح الحيز الّذي يكاد يمثل محور دراساته التي ألفها على امتداد خمس وثلاثين سنة (....)، بحيث أنه لايخلو أي كتاب نقدي يضطلع فيه بتحليل رواية أو حكاية أو أسطورة أو قصيدة أو مثل من مبحث الحيز، فقد وجدنا هذا المبحث حاضر على مستويي النظرية والممارسة في معظم تلك الدراسات[3].

ساعيا من خلال دراسته هاته تبيان أهمية استعمال مصطلح الحيز بدلا من المصطلحات الأخرى – الفضاء- المكان في مقابل استخدام المصطلح الأجنبي(space – espace) الفرنسي – الانجليزي، بحيث نجد أن مصطلح الحيز فيما معناه لغة: هو ماانحاز إلى البيت ويقصد به انظم إليه والتحق به وفي الأصل نجد أنه من الحوز بالواو، ثم أطلق على كل ناحية حيز، ثم صارت الناحية في منظورنا- عبد المالك مرتاض على الأقل تعني كل فراغ أرضي أو سماوي أو عمودي أوحجمي أو خطي (الطول- العرض) أو وزني أو كل مايدل على مكان يدل مكان غير جغرافي كأحياز الأعمال السردية التي ينشئها الساردون في عوالمهم الخيالية، حتى نميز الحيز الإبداعي من المكان الجغرافي[4]، لأن الفضاء يعني الأجواء العليا وان المكان يعني الجغرافيا ممايكون في متناول الطيران وتحت سيادة ذلك الوطن وسلطته.

---

[1]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع، دت، دب، ص207.

[2]- حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1990، ص33.

[3]- سيدي محمد بن مالك، السرد والمصطلح، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر 2015، ص124.

[4]- عبد المالك مرتاض، شعرية القص وسيميائية النص ، تحليل مجهري لمجموعة تفاحة الدخول الى الحبة، دط، البصائر للنشر والتوزيع ، دت، وهران، ص147.

أما مصطلح الحيز فانه قادر على أن يشمل كل ذلك بحيث يكون اتجاها وبعدا وفضاء وجوا وفراغ ومجالا وامتلاء – وخطأ في أي شكل من أشكاله الهندسية الكثيرة التنوع، بحيث يعتبر كل اتجاه أو فراغ أو حركة أو طول أو عرض أو حجم[1].

لكن مهما ينشأ عن تمثلات الخيال، فهو الّذي ينشئه القاص فيخادع القارئ به، بادعاء أنه مكان جغرافي فعلا وحقا، بحيث أنه مجرد هيئة مكونة من المكونات السردية الأخرى[2]، فالروائي يشكل حياة ويصورها تبعا لأهميتها التاريخية – النفسية – الاجتماعية فيكون قلمه بمثابة العدسة الدقيقة تنقل كل شيء بتفاصيله مجسدا الهوية المكانية التي تستقطب ماحولها وتشع على مايحيط بها، فتكون مادة الراوي الأولية هي اللغة التي يستعملها المبدع، وفق نظامها القواعدي النحوي والبلاغي في رص الكلمات بعضها إلىالبعض، ليؤسس حيزه كيفما شاء، عن طريق التحديد أو الوصف فتتخذ هذه الأحياز أهمية كبرى، وتمتلئ بشعور هذا أو ذاك كأنها تشحن[3]، بدلالات وأبعاد لها أهميتها بمكان في تجسيد رؤية الكاتب من خلال هذه الأحياز الموظفة في عملهالإبداعي.

يعد الحيز ذو أهمية كبيرة لاتقل عن أهمية الزمن في بناء الهيكل الروائي، فإذ كانت الرواية في المقام الأول، فنا زمنيا يضاهي الموسيقى في بعض تكويناته ويخضع لمقاييس، مثل درجة السرعة والارتفاع، فإنها من جانب آخر تشبه الفنون التشكيلية من نحت ورسم في تشكيلها للمكان[4]. حيث يعتبر الرسم فنا فضائيا ليس ما نجد فيه من تشخيص للمساحة بل لأن هذا التشخيص نفسه يتم ضمن المساحة، المساحة الأخرى هي مساحة فن الرسم المميزة له، والهندسة هي فن الفضاء بإطلاق إلا أن الهندسة لا تتحدث عن الفضاء، بل نقول تجعل الفضاء يتحدث من أن نقول أن الفضاء هو الّذي يتحدث من خلالها بحكم أن لكل فن من الفنون يسعى إلى خلق تشخيصه الخاص[5]، فكل فنان أو مبدع يعبر عن مخيلته وفق رؤيته ومخيلته التي تكون تبعا لخلفياته ويجسده بأداته الفنية التي يعبر بها سواء كانت شعرا أو رسما أو قصة أو هندسة أو رواية .

[1]– عبد المالك مرتاض ، الف – باء تحليل مركب القصيدة " ابن ليلاي، لمحمد العيد"، دط، دار الغريب للنشر، 2004، ص176.

[2]– عبد المالك مرتاض، شعرية القص وسيميائية النص ، المرجع السابق، ص150.

[3]– أحمد طالب، جماليات المكان في الفصة القصيرة الجزائرية، دط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، دت، ص9.

[4]– سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دط، مكتبة الأسرى، 2004، ص103.

[5]– جيرار جنيت وآخرون، الفضاء الروائي ، تر: عبد الرحيم حزل، دط، أفريقيا الشرق، بيروت، الدار البيضاء، 2002، ص15.

لم يكن الحيز مقتصرا على الأدب فقط حيث مظهر يمثل لكل الذين يتعاملون معه بالفكر والصورة والقلم والريشة جميعا[1]، فالحيز مسير لأي كان باستعماله في أداته الفنية للتعبير عن تجربته وتجسيد رؤيته والوصول إلى غايته إلا أن الأدب يبقى الأصل في التفكير وفي التصوير وفي الخيال وفي كثير من مظاهر الإبداع الأخرى وقد يكون هو المكان الّذي يتمكن فيه الحيز بامتياز، فالأدب يبقى هو المجال الأوسع والأداة الأكثر ملائمة في التعامل مع الحيز، كون الأدب هو الأصل في التصوير والخيال والتفكير.

يعتبر الأدب بدون سرديات أدبا ناقصا، في أي لغة من اللغات فان السرد دون حيز لايمكن أن يتم له هذه المواصفة ولا يستطيع أن يكونه ولو أراد[2]، بحيث أن السرد مكون أساسي في الأعمال السردية بل هو العمود الفقري لها حيث تناوله النقاد العرب باختلاف إذ أنهم لم يستقروا على مقابل واحد للمصطلح الأجنبي فاضطروا إلى ترجمة (space – espace) بعكس الغربيين الذين ثبتوا على (space – espace) للدلالة على المكان في النص السردي[3].

كون أن الحيز الأدبي هو كل ما يمكن أن يكون حجما أو وزنا أو امتداد أو متجها أو حركة في سلوك الشخصيات، أو في تمثيل النص الّذي يتعامل مع هذا الحيز "كون أن الحيز شديد التسلط على كل الكائنات الحية والجامدة المضطرة في أي عمل سردي[4].

أي أن الحيز يؤثر ويتأثر بمكونات السرد الأخرى وهو عنصر مهم من عناصر تكوين النص الأدبي.

[1]– عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحيث في تقنيات السرد، دط، دار العرب للنشر والتوزيع، دت، وهران، ص205 .

[2]– المرجع نفسه، ص 203.

[3]– أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2005، ص429.

[4]– عبد المالك مرتاض، شعرية القص وسيميائية النص، المرجع السابق ، ص 152.

الفصل الأول

أنماط المكان وأهميته في روايتيّ الربيعي

تمهيد

1-أنماط المكان

2- ثنائية المكان المفتوح والمغلق

أ- المكان المفتوح:

ب- الأماكن المغلقة:

3- أهمية المكان

تمهيد

لابدّ لنا من الإشارة إلى أن تقسيم المكان إلى عدة أنواع ما هو إلا ضرورة لتسيير عملية البحث والدراسة،إذ لا توجد حدود صارمة يتسم بها كل نوع من أنواع الأمكنة ، فالأمكنة في الرواية تتداخل ولا تتسم بالثبات المطلق،إذ أن الخصائص التي يتسم بها كل نوع مكاني قد تجمع كلها أو بعضها في نوع واحد.

وامتازت روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي ببعد تركيبي في عرضها لأنماط مختلفة من الأمكنة ، يتوالد عنها عددا من الثنائيات المكانية على نحو تقاطبات* ،بحيث لا تعرف قيمة أي نوع مكاني بصورة منفردة من دون القياس والمقارنة بالنوع الآخر.

والتقاطبات الثنائية من أبرز مايمكن أن تقع عليه عين الناقد عند المقايسة بين نوعين من المكان.

ووجدنا هذه السّمة تلازم معظم الأعمال الروائية للربيعي واخترنا دراسة ثنائية المكان المفتوح والمغلق لما له من أهمية على مجريات الأحداث والشخصيات ، وباعتبارها أكثر الثنائيات المكانية هيمنة في دراسة النماذج الروائية عامة وفي روايتيّ الوشم والقمر والأسوار خاصة.

*التقاطب:مصطلح يدل على التقابل بين متضادين.

1-أنماط المكان

اختلف النقاد و الباحثون في تحديدهم لأنماط الأمكنة في الرواية، كما اختلفوا أيضا في تحديدهم لمسميات هذه الأنماط و المنطلقات التي يصدرون عنها.

ويعد تصنيف بروب للأمنكة في دراسته للقصص الشعبية من أشهر التصنيفات، إذ قسم المكان على ثلاثة أشكال و أنماط عامة هي[1]:

"المكان الأصل: وهو عادة مسقط الرأس ومحل العائلة و الأنس.

المكان الذي يحدث فيه الاختبار الترشيحي: وهو مكان عرضي ووقتي

المكان الذي يقع فيه الانجاز: وهو الاختبار الرئيسي

إلا أن هذا التصنيف المكاني الذي استنبطه فلاديمير بروب، وأمعن غريماس في دراسته فيما بعد، مرتبط بالتطور الوظائفي ،لأنه يقتصر على نمط قصصي معين وعلى منهج نقدي خاص(التحليل الوظائفي)،بالتالي فلا بدّ لنظرية القصة من أن تقوم على شكلنة أوسع و أشمل للبنية المكانية وقد لاحظنا قلة البحوث في هذا الميدان فعلاوة على الأصناف المكانية العامة التي تلازم الأنماط القصصية(كالمكان الأسطوري في الحكاية الشعبية،والمكان الواقعي في القصص الملتزمة أو الواقعية ،و المكان الطبيعي في القصة الغزلية.....)[2]

وبعد دراسة بروب برزت دراسات للمكان من وجهات نظر أخرى،منها دراسة المكان في ضوء علاقته بالشخصية، وهذا مذهب الدراسات الفلسفية الحديثة التي درست المكان ولاسيما دراسة غاستون باشلار جماليات المكان، ومن الطبيعي أن يكون المكان مرتبطا بطبيعة الشخصية التي تصف المكان و تعيش فيه،إذ أن المكان يستمد سمته من وعي الشخصية به ف :"التجربة المكانية هي التي تحدد المكان ، وهنا يوجد نوعان للتجربة المكانية:

[1] ينظر :سمير رزوقي وجميل شاكر،مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا،دط،ديوان المطبوعات الجامعية،الدار التونسية للنشر،الجزائر،دت،ص58-59

[2] المرجع نفسه، ص60

الأول:أن يكون الإنسان داخل المكان أي أنه جزء منه من الأبعاد ذاتها أو بالأحرى أن يقف عليها و عندها،ولذالك فهو يعاني إحساساداخليا ومركزيا ولذا يصعب عليه أن يحدد الأبعاد الكاملة للمكان .

الثاني:هو أن يقف المرء على حافة المكان أو إلى جانبه، هنا يحصل الإنسان على القابلية علىاستطلاع المكان و من ثم التعرف على أبعاده كلها"[1].

2-ثنائية المكان المفتوح والمغلق:

تتشكّل هذه الثّنائية من طبيعة المكان الّذي تحدّه أولا تحدّه الحدود والحواجز والقيود التي تشكّل عائقا لحرية حركات الإنسان وفعالياته وانتقاله من مكان إلى آخر ، وتحدد من جهة أخرى طبيعة العلاقة مع الآخرين وانفتاح هذه العلاقات أو انغلاقها على قوانين وضوابط ، وشروط مسموح بها أو غير مسموح بتجاوزها.بمعنى أنه:

في أحايين كثيرة يحمل الشّكل الهندسي والتنظيم المعماري للمكان قيّما تنبع من داخل الشّكل نفسه،ضيقا أو اتساعا، وفضلا عن هذا التعارض الّذي يفرضه الشّكل الهندسي للمكان، فإن هناك تعارضا بين المكان المفتوح والمكان المغلق ناتجا عن الطّريقة التي يدرك بها الإنسان المكان ومرتبطا بنوع السلوك وخبرة الشخصية به، فقد يرتبط المكان المغلق بالألفة والحماية التي نحسها داخل البيت أو بالضجر والجبرية التي تفرضها غرفة السجن، والشّكل المكاني المفتوح من الممكن أن يوفر نوعا من الحرية النسبية وقد يولد امتداده شعورا "بالاختناق أكثر من المكان الضّيق"[2]

وتبقى المسألة متعلقة برؤية الشخصية للمكان "فلكل كائن حي قيمة الّذي يمثل مركز إشعاع بالنسبة إليه يتعارض مع العالم الخارجي الشاسع"[3]،

فضلا عن أسلوب الكاتب الروائي وقدرته على توظيف المكان روائيا، وعلاقة ذلك مع مجريات الأحداث ومكونات البناء السردي الأخرى.

[1]- سعيد مؤيد .المكان كمصطلح تاريخي فني في فنون العراق القديمة ،مجلة آفاق عربية،العدد1،السنة الأولى ،1989 ،ص 79

[2]- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدراسات و النشر و التوزيع، بيروت لبنان، ط2، 1984، ص198.

[3]- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ص83

وسندرس في هذا العنصر أشكالا محدودة من الأماكن وجدناها أنها الأماكن الأساسية لأحداث الرواية،و ارتبطت أكثر بالشخصيات وانفردت باهتمام الروائي،والغاية من اختيارها أنها قادرة على: "تزويد الرواية بطاقة فنية خيالية توتر الفعل الروائي.

ثم إنها رموز تكشف توجهات الرواية العامة والأهم من ذلك تسعى إلى تكوين خصائص تمنح الخطاب خصوصية.

ففي روايتيّ الربيعي رصدنا أمكنة عدة وجدنا أنها تمثل أمكنة مفتوحة هي : (المدينة ،الشارعالمقهى،الشاطئ والبحر،المباغي، الحانات)،وفي مقابل ذلك وجدنا ثمة أمكنة تقف على نقيض منها،هي الأماكن المغلقة ويمثلها :(البيت،الغرف، المعتقل والمكاتب).

ومن الملاحظات المهمة التي يجب الإشارة إليها هنا بصدد تقسيمات المكان المفتوح في روايتيّ الربيعي ولاسيما المقهى والمباغي والحانات التي أدرّجناها ضمن نطاق أنماط المكان المفتوح . فإننا وجدنا فيها أمكنة تنفي عنها سمّة الذّاتية وتتميز بكونها أمكنة عامة ومشاعة للجميع،فشخصيات روايتيّ الربيعي تتعامل مع هذه الأمكنة على وفق هذه الدلالة فهي تعدها امتدادا للشارع.

وبطبيعة الحال إن تقسيم هذه الأمكنة ووضعها تحت عنوان المكان المفتوح،ينطلق من كونها تقسيمات وتصنيفات خاصة بتشكيل المكان في روايتيّ الربيعي وعلاقته بالأحداث الروائية والشخصّيات والمنظور وسائر تقنيات الرواية الأخرى.كما سنبين ذلك في تحليلاتنا لهذا النمط من الأمكنة، مع الإشارةإلى عدم وجود أنماط ثابتة للمكان ،فالأمكنة تتداخل فيما بينها في النص الروائي،وتبقى خصوصيّة النّص الرّوائي وعلاقة بنية المكان بأبنية الرواية الأخرى هي الفيصلفي ذلك.

أ-المكان المفتوح:

ليس ثمة فوارق جوهرية في فعل مكان ما عن الآخر سوى تلك الفروق التي تحددها الشّخصية الروائية بالانتعاش والطّمأنينة والأنس والألفة .

فالمكان المفتوح "حيّز مكاني خارجي لا تحدّه ضيقة يشكّل فضاء رحبا ، وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق "[1]

[1]- أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية "دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع 2009.

وتكتسي الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في الرواية، إذ أنها تساعد على" الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها."[1]

والمكان المفتوح هو الّذي :"يتردد عليه الفرد من دون قيد أو شرط مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي، أي ممارسة سلوك غير سوي يرفضه المجتمع كالسّرقة والعدوانية، وهو عنصر أساسي يتحرك من خلاله الشّخصيات الروائيّة، فضلاً عن كونهِ عضيد الزمن الّذي يتعامل معه الكاتب."[2]

- **المدينة:**

تعد المدينة واحدة من أبرز معالم المكان المفتوح، وهي قيمة مكانيّة تتكرر في روايتيّ الربيعي، ما بين مدن محليّة وعربيّة عالميّة فاعلة ومتفاعلة أليفة ومعادية، مشاركة في الحدث وشاهدة عليهوتمتاز المدينة في روايات الربيعي بواقعيتها وإلى جانب ذلك حمّلها الربيعي بعدا رمزيا فحملت دلالة المدينة العربيّة، فما يحدث في مدينة من مدن العراق في تلك الحقبة العصيبة من السّتينات هو ما يحدث في أرجاء الوطن العربي جميعا، فأراد بذلك أن يخرج بالمدينة من المحليّة الضّيقة إلى مناخ قومي واسع.

والمدينة لا تحمل أيّة خصوصيّة من الممكن أن يعكسها التشكيل المادي لها لدي الربيعي وإنّما تتبع خصوصيّتها في ضوء علاقة الشخصية بها.[3]

والمدينة (الناصرية) في رواية الوشم تمثل محطّة استقرار "لكريم الناصري"، وعندما يرحل من مدينته يمر بسلسلة من المدن التي لا تشكّل إلا محطّات عابرة بالنسبةإليه، والمدينة لا تفرض تأثيرها على كريم الناصري لاختلافها ماديا عن المدن الأخرى، وإنما تبقى الخصوصية رهينة بالانطباع الّذي تحمله الشخصية عن المكان، كما في هذا المقطع الّذي يتحدث فيه كريم الناصري عن مدينة الناصرية : «**الناصرية مدينتنا الصغيرة الهادئة، التي قصدها آبائنا يوما بعد أن رموا مناجلهم وفؤوسهم بحثا عن عمل جديد يلقي في أفواه أبنائهم الجائعة لقمة لم تعد الأرض تمنحها لهم**».[4]

---

[1]- فهد حسين: المكان في الرواية البحرينية (دراسة في ثلاث روايات: الجذوة – الحصار- أغنية الماء و النار)، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط1 ، 2003 ، ص 80.

[2]- فهد حسين: المكان في الرواية البحرينية، المرجع السابق، ص80.

[3]-رواية الوشم .ص13

[4]-المصدر نفسه، ص 100

وبعيدا عن مدينته يمر الناصري بالمدن الأخرى على شكل إشارات مكانية لا تنطوي على أي تفصيلات:" **هربت من الناصريّة إلى بغداد، وسأهرب من بغداد إلى الكويت وربما من هماك إلى ابي ظبي أو أنقرة**".

ويبدو أن الهرب هو هاجس كريم الناصري أكثر من المكان نفسه، فالمدينة بالنسبة إليه محطة انتقال مفتوحة.

أما رواية القمر والأسوار فتطالعنا منذ بدايتها على مدينة الناصرية التي تدور فيها أحداث الرواية التي كانت "منذ عشرين عاما إلا ثكنة كبيرة ومسجدا بناهما ناصر الأشقر لجنوده وأتباعه لصد غزوات العشائر المنددة."[1]

حيث تقف هذه المدينة مكانا إطاريا عاما، فتمر بمرحلة تطور ونمو عمرانيين بل إن العمل الروائي يقوم في مجمله على أساس حركتين متساويتين، تمثل "المدينة" الحركة الأولى عبر جملة من التغييرات والتطورات التي تطرأ على الزقاق في مدينة الناصرية.

أمّا الحركة الثانية فتمثلت في نقلات تمّت على مستوى الزمان(الحدث) والشخصية، فهناك تزامن وتفاعل بين التّطورات التي تحصل في المدينة وبين أحوال ومواقف أهل المدينة، فضلا عن هذا فإنّ هذه التّطورات تشير إلى تقادم الزمن واستمراريته، فوصول الكهرباء إلى المدينة يترك انطباعا ايجابيا لدى سكانها:

" أحدث الزقاق فورة جديدة، فوجد البشرطريقه للوجوه الكدودة، ولم يمسك بعض النسوة أنفسهن من الزغردة والدعاء للمتصرف ورئيس البلدية بطول العمر، كل هذا حدث لأن أعمدة الكهرباء بدأت تنتصب الواحد بعد الآخر وعلى امتداد الزقاق الّذي أكلته العتمة طويلا."[2]

وهذه التّطورات المكانية للمدينة قد تترك أثرا سلبيا على سكانها.

فزكية تفقد عملها في نقل الماء من الشّاطئ إلى أهالي الزّقاق، عندما تصل مجاري الماء إلى الزقاق وجبار يفقد عمله في الجسر الخشبي القديم عندما تشرع الحكومة ببناء جسر حديدي جديد.[1]

[1]-رواية القمر و الأسوار، ص15

[2]-المصدر نفسه ، ص240

يبدو أن المدينة في رواية القمر والأسوار مدينة مفتوحة غير منعزلة ،اذ تتأثر بما يدور حولها من أحداث تبعدها من أن تكون حبيسة في حدودها الجغرافية، فعندما تتأجج الروح الثورية في القاهرة لإسقاط النّظام الملكي هناك يعم الفرح أهل مدينة الناصرية شأنها شأن المدن العراقية الأخرى." شملت المدينة موجة من الفرح بهتت أمامها كل المصائب والأحزان القديمة عندما انتفض قلب القاهرة العربي وأسقط النظام الملكي هناك وبدأ المواطنون بإظهار فرحهم متحدين السلطة وأجهزتها ومخبريها وقاموا بتوزيع الحلوى والمبردات."[2]

- **الشّارع:**

احتل الشّارع مكانا بارزا في الرواية العربية، وكانت له جمالياته المختلفة باعتباره مسارا وشريانا للمدينة، وفي الوقت نفسه المصب الّذي يصّب فيه اللّيل والنّهار أشغالهما وتجلياتهما فهو المسار والمصب في آن واحد.[3]

فالشّارع حسب ياسين النصير:"هو صحراء المدينةوجزؤها الزمني، وحياتها الدائبة والمتحركة،و لولب بعدها الحضاريّ، لامتداده على مدّ الخيال ولساكنيه حرية الفعل وامكانية التنقل وسعة الاطلاع والبدل"[4] .

فالشّارع من الأماكن المفتوحة التي لا يستطيع الكاتب تغاضيه أو تهميشه وأيضا لا يمكننا إلغاءه، وذلك لأن الشّارع هو الواصل بين الأماكن المختلفة فالشّارع:"من أماكن الانتقال التي تمر عبرها الشّخصية من مكان ذهابها وإيابها من وإلى البيت ومكان العمل فهو حلقة الوصل بين الأماكن المختلفة،وهذا لا يعني أنه مكان عابر لايستحق الدّراسة، لأنه يعد مكانا مهما في الحياة،وفي العمل الروائي أيضا، إذ يصل بين أماكن متعددة وقد يكون له دور فعال في الرواية لأنه يشهد حوادث مهمة".[5]

وفي الحقيقة فهو واحد من رموز المدينة المشرعة والمفتوحة النّابضة بالحياة.

---

[1]-ينظر، المصدر نفسه، ص57-41.

[2]- القمر و الأسوار ، ص265.

[3]-شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1994، ص65.

[4]-ياسين النصير، المكان و الرواية ، ص144.

[5]- الصفدي عالية أنور: شعرية الأمكنة في روايات يحي يخلف، المعتز للنشر و التوزيع، الأردن ، ط1، 2008، ص72.

فهو أكثر من جغرافية مكانية لأنه الخيط الفاصل بين عالمين: عالم السر وعالم الجهر....إذ عند البيوت والمنازل ينتهي عالم الناس السري ويبدأ الشارع وحين تنكشف الأسرار وتعلن الأعماق عن خفاياها.....إنه الشارع النابض بالحياة."[1]

والشارع في روايات الربيعي ذات خلفية سياسية ظل صعبا وشرسا وهو معادل موضوعي للحدث، ويمثل القراءة الثانية للأفكار وأداة توصيل بارعة وحرة، ففيه تتوحد الإرادات وترفض وتعلن، وتفصح فيه الشخصيات عن مبادئها، فكان قضية وشاهدا، رمزا وواقعا.

والشارع في رواية الوشم يمتاز بانفتاحه وعموميته، ويمثل التعويض عن أزمة نفسية واجتماعية، فهو الحرية المبتغاة وأول مكان يلجأ إليه كريم الناصري بعد خروجه من المعتقل الّذي يمثل الضيق المكاني والنفسي بالنسبة إليه :"تنفس كريم الناصري هواء الشارع بعد اختناق عريض سبعة شهور جائرة طوقته بدقائقها ورعبها،وهرست منه الدم والعظم والأعصاب."[2]

وبذلك تحول التسكع في الشارع إلى هواية عند كريم الناصري ليتساوى الشارع الرمز بانفتاحه وعموميته مع حالة التشرد والضياع التي يستشعرها بعد خروجه من المعتقل.....وأخذ نثيث المطر يغسل وجع بغداد بمنائرها وباصاتها ونسائها المعطرات ورجالها اللاهثين، وشجع هذا النثيث كريم الناصري على ممارسة هوايته القديمة في التسكع على أرصفة الشوارع الطويلة".[3]

في رواية القمر والأسوار امتازت الشوارع بمساحتها الواسعة وانفتاحها"يمتد شارع الهواء عريضا ومستقيما من شرقي المدينة حتى غربها تتوسطه حدائق مستطيلة زرعت أرضها بالدغل...."[4]

يبدأ الوصف المكاني لدار حميد من الخارج(الشارع) باتجاه الداخل، والشارع هو الخط المفتوح الممتد الّذي تشيد البيوت على جانبيه:"تقع دار حميد في زقاق يتفرع من الشارع العريض الممتد بين المستشفى ومنطقة الروف حيث المقابر وضريح المجاهيل..."[5] فالزقاق شارع مفتوح تدب فيه الحياة كل صباح.

---

[1]-جوادي هنية، "صورة المكان و دالالته في روايات واسيني الأعرج"، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، كلية الأدب واللغات ، قسم الأدب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013، ص111

[2]-رواية الوشم، ص7

[3]- رواية الوشم، ص 36

[4]-القمر و الأسوار، ص 103

[5]-المصدر نفسه، ص10

"دبت الحياة في الزقاق منذ ساعات الصباح الأولى وخرج الأطفال والنساء من البيوت ليتأملوا العمال وهم يحفرون ويشقون مجرى في منتصف الزقاق."[1]

ففيه يجتمع النساء أمام أبواب بيوتهن كل مساء ليتبادلوا .

وإذا كانت رواية القمر والأسوار بدأت من الخارج (الشارع) باتجاه الداخل، فإنها تنتهي من الداخل باتجاه الخارج (الشارع)،فيفصح هذا الانفتاح المكاني المتجه صوب الشارع عن بعد رمزي ينم عن اشراق ومستقبل أفضل، وقضية لم يتم الحسم لها، وهذه الامتدادات المستقبلية للحدث كلها امتداد للشارع المفتوح واشارة إلى أن القمر قد تجاوز الأسوار في رواية القمر والأسوار .

وهذه الرموز تعكسها حركة (كامل) المتجه من الداخل باتجاه الشارع: "وخطا خارجا من الغرفة ،ثم من البيت وبعده من الزقاق، حتى ارتمى في الشارع العريض، كان الإصرار قد صحا في قلبه وأورق كبيرا ومتفائلا في هذا الحقل الواسع العامر بالحقد والتحدي والكبرياء"[2]

- **المقهى:**

يعد المقهى من الأماكن المغلقة ، ولكنه تبعا لكونه مكانا مشتركا تتردد عليه أعداد كبيرة من الناس، ومن فئات مختلفة ، يقترب من المكان المفتوح، فإذا كان البيت مكانا مغلقا وخاصا، والشارع مكانا مفتوحا وأكثر عمومية من الأمكنة الأخرى ، فان المقهى يجمع بين الانغلاق والانفتاح فهو مكان اجتماعي يلتقي فيه شخوص مختلفون لتزجية أوقات الفراغ" وإمداد الفرد بمزيد من قوة الاحتمال لمواجهة رتابة الحياة اليومية....."[3]

فهذه البؤرة الاجتماعية لها دلالاتها الخاصة في الرواية العربية ،التي وجدت في هذا المكان" علامة دالة على الانفتاح الاجتماعي والثقافي ، أنموذجا مصغرا لعالمنا ."[4]

فهو بيت الألفة العام الذي:"يستوعب الجميع، ويحمي الجميع دون شروط مسبقة ودون مواعيد مسبقة."[5]

---

[1]-المصدر نفسه ، ص55

[2]-القمر و الأسوار، ص334.

[3]-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص93

[4]-شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص194-195

[5]-المرجع نفسه، ص195

في رواية الوشم يتحول المقهى إلى مكان يمثل تعويضا عن أزمة كريم الناصري وتشرده بعد خروجه من المعتقل، ففي زحمة المقهى أراد الناصري أن يجد نفسه ويتخلص من ماضيه الملطخ بالهزيمة والانكسار، بعد أن" أحس شيئا في داخله قد نسف".[1]

والمقهى بوصفه تشكيلا مكانيا لا يأخذ حيزا كبيرا في رواية القمر والأسوار، فشخصيات الرواية لا تعاني من أزمات نفسية تجعلهم يبتعدون عن البيت، كما تعانيه شخصيات الوشم وكان المقهى بالنسبة لجبار بداية لحياته، فقد "باع نصف بيته إلى هادي الفراش واشترى جبار بالثمن مقهى صغيرا في الصفاة قريبا من دكان الشيخ علي".[2]

والمقهى في رواية القمر والأسوار مكان لتبديد الوقت وقراءة الكتب الثقافية وتبادل الموضوعات العامة بين عزيز وصديقه عبد الله ليس إلا "هذا المقهى أصبح محورا لنا ،اننا ندور ثم نعود اليه"[3]

فالمكان "المقهى" هنا أحادي الوظيفة وتقليدي، إذ لا يشكل حضوره في رواية القمر والأسواء تأثيرا كبيرا على الأحداث والشخصيات.

- **الشاطئ والبحر:**

كان البحر دائما مصدر الهام لكثير من الكتاب فقد شغل اهتمام الشعراء والأدباء لما له من سحر وجمال وعظمة، فالبحر رمز المطلق وهو مكان لا متناهي واتساع هائل الّذي تحن الذات إلى العودة إليه والذوبان فيه ومن ثم انشدادها إليه، ورحيلها الرمزي في عوالمه والإصغاء العميق إليه لعله يمنحها سر من أسراره.

وتتعدد وجوه توظيف البحر في المتخيل الروائي، وعلى حد قول الكاتبة" رفقة" التي ترى أن:"إن اتساع البحر اللامحدود،بألوانه وحركته ،و سقوط الشمس والأشعة عليه وهو بين مدوجزر،

[1]-ينظر: رواية الوشم، ص7.
[2]-ينظر، القمر و الأسوار، ص119
[3]-المصدر نفسه، ص260

والمدن من حوله من بعيد تبدو مرتفعة المباني كالأشرعة ، وهدا كله يدخل الإنسان ، وهو في مواجهة البحر في حالة من الغموض...."[1]

فالبحر بمنظره يؤثر على الذات الإنسانية.

في رواية الوشم تتحول هذه الأمكنة بانفتاحها على الفضاء الواسع إلى معادل موضوعي للحرية المسلبة التي يحياها كريم الناصري في المكان المغلق المعتقل حتى تبدوإليه هذه الأمكنة حلما حلوليا نابعا من الذاكرة، وهذا الاسترجاع المكاني للشاطئ، تغيب فيه ملامح المكان التفصيلية وتغلب عليه الانطباعية والذاتية للشخصية المسترجعة.

"وشعرت برغبة في ملامسة يد أسيل عمران والتنزه معها على شاطئ الفرات في غرب المدينة، رغبة عميقة في إحياء واحدة من تلك الأماسي الدفينة التي اغتالها الاعتقال وترتسم أمامي واحدة من تلك المقابلات الرابضة في الدم على الدوام.كان الفرات راقدا أمام عيوننا كأفعى ضخمة قتيلة.....كانت الزوارق الرياضية تنطلق مرحة من المسبح الطلابي فأتمنى لو كنت واحدا منها أشق صدر الفرات النائم"[2]

أمّا في رواية القمر والأسوار فيظهر المكان (الشاطئ) كلقطة سينمائية واسعة عبر عيني عزيز اللتين يمدها اتجاه الشاطئ ويطلق العنان لتفكيره أن يسرح فيه، وتشترك أكثر من حاسة في رسم ملامح المكان ، ويتوحد المكان مع إحساسات الشخصية الداخلية على نحو يبدو المتنفس الّذي يفرغ فيه عزيز وحدته واحتجاجاته ويفصح عما في خلجات نفسه"**بعد أن غادر عزيز المقهى مشى باتجاه النهر ، وجلس بعض الوقت على أحد المساطب ،وراقب من بعيد العمال الذين يواصلون تشييد الجسر الجديد، كما أنصت إلى أغاني الصيادين البعيدة وهم يسحبون شباكهم الكبيرة إلى الشاطئ.تنفس ملء صدره فأحس براحة عميقة"**[3]

[1]–رفقة محمد دودين، خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة ، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان ، (دط)، 2007، ص341.

[2]–روية الوشم، ص30

[3]–رواية القمر و الأسوار، ص216

ومكان الشاطئ في الرواية يمثل المكان الّذي يشيد فيه الأغنياء بيوتهم فهو يشري للنفس الطمأنينة والهدوء "**وعلى امتداد شاطئ بين الجسر ومحله الصائبة تقع بيوت الأغنياء من المسلمين وبعض اليهود..** "[1]

- **المباغي :**

في رواية الوشم أراد كريم الناصري من المرأة الجنس والمرأة الحب أن تكون تعويضا عن الخيبة السياسية فلم تفلحا.

إذ يعلن لصديقه حسّون السّلمان بذلك:" **إنّ أهم مايشغلني الآن : هل بالإمكان أن تكون المرأة تعويضا كاملا عن الخيبة السياسية؟ وهل تكفي لأن تكون ضمادا لكل الجراح؟ ولكن أي امرأة تقدم ذلك؟**"[2]

ولا ينطوي المبغى الّذي ذهب إليه كريم الناصري على أيّ وصف مكاني واضح، ويبقى في حدود الإشارة ،و لكن نلمح إليه برمز، فالوشم في جسد إحدى البغايا هو الماضي نفسه الموشوم بالخيانة والانكسار الّذي طبعت به شخصية كريم الناصري بعد إحساسه بالخيانة نتيجة اعترافه على بعض رفاقه في العمل السياسي ليكون ثمن إطلاقه من المعتقل.

فالمبغى يمثل رمزا يضاهي ماهو عليه "**تاريخ كريم الناصري الموشوم**".[3]

ومن المعادل الرمزي نفسه استنبط الربيعي اسم روايته الوشم.

وفي رواية القمر والأسوار ، تشكل المباغي أمرا مرفوضا من أهل الزقاق ، كما هي الحال عند غيرهم، فهم ولدوا وترعرعوا في بيئة نظيفة ومحافظة، فذلك لا يتناسب مع التقاليد الاجتماعية لأهل الزقاق.

فالمباغي تأول إلى الزوال بأمر منهم، فتهدم بيوت العاهرات التي تتوسط المدينة، وهذا التغيير المكاني يصاحبه تغييرات في مجرى الأحداث.

---

[1]-القمر و الأسوار، ص217

[2]-رواية الوشم، ص16

[3]- ينظر:المصدر نفسه ، ص39

"انتشر في الزقاق خبر مفاده أن بيوت العاهرات التي تحتل جزءا كبيرا من وسط المدينة ستهدم وسيبنى مكانها مسجد ومدرسة وملعب لكرة القدم، واستبشر السكان لهذا الخبر...."[1]

فقد كان السكان يتجنبون المرور من ذلك المكان المدنس ويفضلون قطع مسافات مضاعفة للذهاب إلى السوق بدل المرور من هناك ، فقد تحرر الشباب والمدينة من الفساد الّذي طغى عليها نتيجة هذه البيوت والفضل يعود إلى الشيخ حسن :" **عندما رأى الشيخ حسن هذه البيوت قال أين ذهب الإسلام ثم كتب عريضة إلى المتصرف ووقعها كل التجار والموظفين والأهالي وطالب بتهديم هذه البيوت**"[2]

ب- الأماكن المغلقة:

بعد الانتهاء من دراسة الأماكن المفتوحة الواردة في الروايتين ،سنتوجه الآن إلى دراسة الأماكن المغلقة قبل ذلك يجب أن نعرف أن المكان :

"يكتسب وجودا من خلال أبعاده الهندسية والوظيفية التي يقوم بها ، فإذا كانت الفضاءات المفتوحة امتدادات للفضاء الكوني الطبيعي مع تغيير حاجة الإنسان المرتبطة بعصره ، فإن الحاجة ذاتها تربط الإنسان بفضاءات أخرى يسكن بعضها ويستخدم بعضها في مآرب متنوعة ،فالبيت مسكنه يحميه من الطبيعة والمستشفى مكان العلاج ، السجن قيد يسلبه حريته ، والمسجد فضاء لأداء العبادة ، هذه الأمكنة يتنقل بينها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره ، والشكل الهندسي الّذي يروقه ويناسب تطور عصره ، وينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح ، وقد تلقف الروائيون هذه الأمكنة وجعلوا منها إطارا لأحداث قصصهم ، ومتحرك شخصياتهم واتخذت خصوصيات مختلفة باختلاف تصورات الكتاب "[3]

[1]-القمر و الأسوار، ص67

[2]-ينظر:القمر و الأسوار، ص67-68

[3]-الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي، ص244

وهكذا فإن المكان بوصفه عنصرا فعالا في بناء وتشكيل العمل الفني فهو يعمل على تطوير أحداث الرواية والتفاعل مع شخصياتها،ولقد تعددت أنواعه بتعدد نظرات الدارسين له وبتعدد أبعاد وأشكال وأنواع العمل الروائي وهكذا تتعدد دلالاته ووظائفه.

فالمكان المغلق هو" المكان المحصور من خلال خلجات النفس وتجلياتها، وما يحيط بها من أحداث ووقائع"[1]

فقد يؤدي هذا النوع من الأماكن دورا مهما في روايتيّ الربيعي "الوشم" " و"القمر والأسوار" :وذلك لعلاقته الوثيقة بتشكيل الشخصية الروائية فيجعلها ملئية بالأفكار والذكريات والآمال والترقب، وحتى الخوف والضيق، إذ "أنّ الأماكن المغلقة تولد المشاعر المتناقضة والمتضاربة في النفس ، وتخلق لدى الشخصيات صراعا داخليا بين الرغبات وبين الواقع نفسه توحي بالراحة والأمان، فيبقى معنى الانغلاق دائما منحصرا في خصوصية المكان واحتضانه لنوع معين من العلاقات البشرية" .[2]

- **البيت:**

هو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية ، ومبدأ هذا الدمج وأساسه هما أحلام اليقظة ، حيث" يمنح الماضي والحاضر والمستقبل لهذا يشكل البيت دينامية مختلفة كثيرا ماتتداخل أو تتعارض لهذا بدونه يصبح الإنسان مفتتا وكئيبا لأنه فضاء مكاني هام في حياته".[3]

لذلك يمثل " البيت " مكانا مهما في الرواية لما له من علاقة بالإنسان الّذي يسكنه إذ انه يمثل عالمه وموطنه الأول ، وهو مملكته الّذي يمارس فيها حياته ووجوده وبوصفه مكانا مغلقا فإنه يعني في الغالب مزيدا من الأمان والطمأنينة والحرية وهذا ما أكدته أيضا " حفيظة احمد " بقولها: "أن الإنسان يمارس حريته كيفما يشاء وأنى شاء حيث يتصرف على سجيته دون تكلف أو خوف أو حرج. "[4]

[1]– شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ، ص16.

[2]– ينظر : عبد الحميد بورايو ، منطق السرد ، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة ، منشورات السهل ، الجزائر العاصمة ، 2009 . ص :80 .

[3]– ينظر : الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي، ص 204

[4]––احمد حفيظة ، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية ، دراسة نقدية ، مركز أوغاريت الثقافي ، فلسطين ، ط1 ، 2007 ، ص 119.

تكاد رواية الوشم تخلو من صورة البيت، فحياة كريم الناصري بطل الرواية، يتشاطرها نمطين من الأنماط، هما المكان المعادي المعتقل في حين تمثل الأمكنة المفتوحة والعامة (المقاهي، الحانات، الشوارع) النمط الثاني ، وهذه الثنائية على نحو عام هي الماثلة في حياة كريم الناصري والمكان المستعاد من خلال الذاكرة يحد من فعالية حضور المكان مفصلا ويخضعه لانفعالات الشخصية وخيالاتها، فكريم الناصري الشخصية المستحضرة لايقدم لنا وصفا تفصيليا مستقصيا لمعالم المكان البيت ، بل يكتفي بإجمال بعض مظاهره بصورة وصفية تلتحم بالسرد، كما يتبين لنا البيت عبر ذاكرة كريم الناصري عند لقائه بأسيل عمران متذكرا ذلك اللقاء وهو داخل المعتقل.

"كانت تلك أول مرة اجتمع فيها مع أسيل بين جدران أربعة في غرفة موصدة الباب على جدرانها لوحات زيتيّة تمثل مشاهد من الحياة في الجنوب"[1]

أمّا في رواية القمر والأسوار فإن الربيعي أعطي للبيت إحساسا مكثفا بضيق المكان وانغلاقه عبر تحديد المساحة الهندسية المادية له.إذ تضم دار حميد غرفة واحدة ينام فيها أفراد العائلة جميعا، ويميل الوصف إلى الاستقصاء والتفصيل في محتويات البيت، ليلعب الوصف دورا تفسيريا يكشف عن الحالة الاجتماعية لساكنيه "في دار حميد غرفة واحدة، جدرانها الطينية غطيت من الأسفل بحصران من حوض النخيل حتى تمنع التراب من التساقط.....و يستقر في كل ركن من الغرفة سريرين من جريد النخل الأول للأب والأم أما الثاني فلعباس وكامل، وتنام نجية في وسط الغرفة إذ لا مكان لسرير ثالث فيها"[2]

- **الغرف:**

إنّ الغرفة هي المكان الأكثر احتواء للإنسان والأكثر خصوصية، وبالقدر الّذي توفره الغرفة من حماية وشعور بالدفء والأمان هنالك غرف أخرى لانشعر اتجاهها بأي نوع من الألفة،بل تصبح بتشكيلتها المنغلقة أماكن للعقوبة وتصبح الإقامة فيها إجبارية كما عرفها **ياسين النصير**بقوله :".... يدخلها الإنسان فيخلع جزءا من مالبسه ويدخلها ليرتدي جزءا آخر، وعندما يألفها يتحرك بحرية أكثر، اذا ما واطمأن تماسكها وبدأ بالتعري فيها، التعري الجسدي والفكري لكنه عندما يخرج منها يعيد تماسكه، ويبدو كما لو انه خرج من تحت غطاء خاص .

[1]–رواية الوشم، ص57

[2]–رواية القمر و الأسوار، ص12.....

ومن أمثلة هذه الغرف: غرف السجون والمعتقلات .

ففي رواية الوشم أعطى شكل المكان المعتقل انطباعا سلبيا ناجما عن تحجيم حركة الشخصية فيه ضمن أبعاد مكانية ضيقة ومحدودة مما جعل شكل المكان الضيق يسهم في تعميق سلبية المكان (المعتقل).[1]

والضيق المكاني للمعتقل توحد مع الضيق النفسي لكريم الناصري، لذا فهو بعد أن أطلق سراحه من المعتقل يقصد نوع من الأمكنة المفتوحة والعامة (مقاهي، حانات شوارع) لتبديد ما اعترى نفسه من إحساس بالهزيمة والانكسار.

أمّا في القمر والأسوار فتتحول الغرفة إلى حاضر **نهلة** والضيق السلبي يوازي فشل أحلامها وطموحاتها وانكساراتها المتتالية، في حين يتمثل العالم الواسع المنفتح الماضي بمثابة أحلام لها بالدراسة والتخرج والوظيفة.

و الآن فهي تحس أن هذه الغرفة كل ما تملكه بعد أن ضاعت أحلامها وأمانيها جميعا:"**هذه الغرفة هي كل عالمها اليوم، في يوم مضى كانت لها أحلام أخرى في الدراسة والتخرج والوظيفة وعباس ولكن كل شيء قد ضاع**"[2].

- **المعتقل:**

إذا كان الإنسان يقيم في البيت بمحض إرادته فهناك مكان اخر يقيم فيه مجبرا وهو السجن الذي" يشكل عالما مناقضا لعالم الحرية الّذي تنتقل إليه الشخصية مكرهة تاركة بذلك عالم الخارج إلى عالم الداخل ، فتنطوي على نفسها بعدما كانت منفتحة على المجتمع والوجود حيث تكشف فيه حياة جديدة لها قيمها المختلفة عن تلك التي ألفتها".[3]

يعتبر السجن مكان عدائي ضد الشخصية من خلال انغلاقه وضيقه وظلمته، فهو فضاء للتعذيب والإهانة باستخدام وسائل شديدة القسوة،ويشكل السجنحسب "حسن بحراوي": "نقطة

[1]-ينظر:رواية الوشم، ص17

3- ياسين النصير، الرواية والمكان، ص 78

[2]-رواية القمر و الأسوار، ص319

[3]-ينظر : الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي ، ص 222

انطلاق من الخارج إلى الداخل ومن العالم إلى الذات بالنسبة للنزيل، بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات ، وراء عالم الحرية".[1]

فالسجن مكان إجباري ، يجرد الإنسان من أبسط حقوقه، ويقتل قيم الراحة والطمأنينة ويحل محلها الشعور بالخوف والضياع والعجز فهو يعبر عن الظلم والقهر والاستبداد.

فالربيعي سلط الضوء على القمع السياسي الّذي تعرضت له فئة من المجتمع بسبب تبنيهم موقف طرف ما في الجدال السياسي أو معارضتهم لسياسة الحكم الاستعماري ضمن هذا الواقع المتردي يستوقفنا اهتمام الربيعي في كلتا روايتيه بموضوع السّجن والرّدة السياسية بصفة عامة في إطار المعاجة الأدبية لمسألة الانتماء السياسي وعلاقة المناضل السياسي بالسلطة فموضوع رواية الوشم هو السّجن في تجربة البطل المثقف المناظل السياسي، الّذي قضى سبعة شهور من الظلم في المعتقل" **تنفس كريم الناصري هواء الشارع بعد اختناق عريض سبعة شهور جائرة طوقته بدقائقها ورعبها، وهرست منه الدم والعظم والأعصاب**".[2]

حيث تدور أكثر من نصف أحداثها في المعتقل ولكن على الرغم من هذه الهيمنة ، إلا أننا لا نجد ملامح المكان المادية ماثلة بشكل واضح فيها،فلا يوجد وصف مستقل للمكان ،إذ يظهر المكان في ثنايا الصورة السردية بإشارات وصفية إجمالية ،فتركيز الربيعي جاء على الشخصية وانفعالاتها النفسية ، وما ينتابها من احساسات داخل المكان (المعتقل)،فهو يعني بالجوّ العام للمعتقل وانعكاساته على كريم الناصري مما يجعل المتلقي يدرك المكان ذهنيا ، مع غياب الوصف التفصيلي لمعالم المعتقل المادية.

كما يظهر المعتقل من منظور كريم الناصري الّذي يقوم بمهمة السّرد ووصف المكان:"**جسدي ممدد الآن في هذا المعتقل المحتشد مع هؤلاء الرجال الذين لا يتجانسون مطلقا في ثرثرتهم وشجاراتهم اليومية التافهة ، ولست أدري كيف انضووا تحت لافتة سياسة واحدة !الجو خانق**

[1]–حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص55

[2]–رواية الوشم، ص7

تفوح منه رائحة الأنفاس وعرق الأجساد التي لم تعرف الإستحمام منذ شهور، الأرض مليئة بالفضلات والبصاق،و دخان السجائر لا يجد فجوة ينفذ منها".[1]

فما خلّفه المعتقل لدى الناصري أحدث نسفا في حياته وتدميرا لا يرمم كما يتضح في هذا النص:"**خرج كريم الناصري سالما،طويلا ومبتسما، يتفقد الأصدقاء ويرد التحية على الآخرين ويستقبل تهنئتهم بمناسبة اطلاق السراح.ولكن في داخله كان شيئا قد نسف.وهذا الاطار الاعتيادي الوقور ماهو إلا قناع لإخفاء البقايا وتغطية التدمير الّذي لا يرمم".**[2]

لذا فإن كريم الناصري يعلن ارتحاله عن مدينته" **ليجد له سبيلا للخروج من أزمته النفسية التي خلفتها مدة اعتقاله".**[3]

بيد أن سطوة المكان المنغلق لم تنتهي بارتحال كريم الناصري عن مدينته، بعد أن أطلق سراحه،فالسّجن تحول إلى رمز وبدا العالم كلّه زنزانة ضيقة أو سجنا بالنسبة للبطل،لذا فإن الانتقال من مكان إلى آخر لم ينقذه من سطوته،كما يعلن هو ذلك"**هربت من الناصرية إلى بغداد،و سأهرب من بغداد إلى الكويت،وربما من هناك إلى أبي ظبي أو أنقرة، وسأكون مطاردا على الدوام.**"

أمّا في رواية القمر والأسوار فيشكل المكان المنغلق السّجن تراجعا من حيث حضوره على المساحة النصية التي حوت أحداث الرواية، ويعود السبب إلى أن الرواية تؤرخ للمدة الممتدة من عام 1948 وحتى بداية الخمسينيات ، وهي مدة شهدت نشوء الأحزاب السياسية وبداية تبلورها، إذ تمثل خطوة باتجاه خطوات لاحقة في تاريخ العراق السياسي هذا من جانب،ومن جانب آخر فان بناء الحدث الروائي جاء منصبا على رقعة مكانية محددة وهي الزقاق وتتبع تطورها عبر الزمن .

فالمكان (المعتقل) الّذي تم رصده لا نلمحه إلا عبر تقنية زمانية مستعادة ، بمعنى أن المكان ينفصل عن حاضر الشخصية ويظهر بوصفه ماضيا مندثرا عاشت فيه الشخصية ،فالسرد وبناء المكان يتم إذن خارج زمن الحدث وفي هذه الأثناء يتم بناؤه عن طريق الحوار الّذي يؤدي إلى غياب

[1]-المصدر نفسه ، ص17

[2]-ينظر:رواية الوشم، ص7

[3]-ينظر:المصدر نفسه ، ص8، 9

الكثير من معالم المكان المادية، كما في النص الّذي دار بين "الشيخ علي"و" محسن الحلاق"، فجاء دور الحوار في بناء المكان مضطلعا بمهمة أخبار تنزع من الوصف دوره في الإفصاح عن معالم المكان المغلق على نحو واضح.

"-والله لم أعرف أنهم أطلقوا سراحك إلا قبل يومين ، والواجب كان أن أزورك في السجن.

-الله يحفظك يا شيخ علي أنت صديق مخلص.

- لم أهتم للسجن، ولكن الأولاد لم يغيبوا عن بالي لحظة واحدة ، والهواجس لا تنقطع بشأنهم .

-على أي حال السجن أهون من الموت."[1]

- **المكاتب:**

يعد من الأمكنة المغلقة، وهو عبارة عن غرفة يعمل فيها الموظفين،ولكنه أيضا قد يدل على وظيفة ما داخل مؤسسة ما ذات مهام محددة اتجاه كل إدارة من الإدارات

في رواية الوشم يتردد هذا النمط من الأمكنة المغلقة في الشركة التي يعمل بها كريم الناصري ولانعثر على وصف لمعالم المكان المعزول عن الشخصية، فمسئول المكان مقترن بوجود الشخصية (كريم الناصري)و الموظفة مريم عبد الله، إذ يظهر المكتب الّذي يعملان فيه، ويضم مجمل أطراف الحدث ويشكل إطارا له، يستحوذ على نصيب وافر من الوصف على حساب معالم المكان (الشركة) التي تتلاشى نسبيا ليؤدي وصف المكاتب دورا ايهاميا بواقعية المكان.[2]

ويتضّح عبر ثنائية المكان المفتوح والمكان المغلق أو الداخل والخارج، إن روايتيّ الربيعي في الغالب تميل إلى النمط المكاني المفتوح وذلك ملاحظ عبر تحركات شخصياتها والأماكن التي تحوي الحدث ممّا يفضي إلى أن سبب رجحانها ناتج عن طبيعة الأحداث وموضوعاتها التي تناولتها روايتيّ الربيعي، إذ تصور الروايتين معاناة جيل أو عدة أجيال ممّن عاشوا الواقع المرير لعراق الستينيات وما قبلها، الأمر الّذي تطلب منهم أن يخوضوا غمار المعركة في الشارع متظاهرين ومحتجين أو مشردين

[1]-رواية القمر و الأسوار، ص151

[2]- ينظر:رواية الوشم ، ص9-95

عن بيوتهم ومدنهم وأوطانهم، فقضية الربيعي هي قضية جماعية وإحداثية ذات سعة جماعية عامة، ممّا تطلب فضاء واسعا يحتوي هذه الأحداث ويواكبها.

3-أهمية المكان

يعد المكان عنصر مهم من عناصر السرد وذلك لأن المكان في كل أبعاده الحقيقية والمتخيلة، ويرتبط المكان ارتباط وثيقا بالنص وبكل ما يحويه من شخصيات وأزمنة وحوادث وبما أن المكان يتميز بخصوصيته وبتعدد وظائفه، فهو الّذي يتحكم في تكوين إطار الحدث، كما أنه يساعد القارئ على تخيل الأمكنة التي يستخدمها الروائي، سواء كانت أمكنة مفتوحة أو مغلقة.

وبهذا فان للمكان الروائي دور هام في تكوين العمل الأدبي والفني " فهو مسرح الأحداث والهواجس التي تصنعها الذاكرة التاريخية"[1]، فبفضل المكان يمكن قراءة وفهم كل حدث وتفاعلات الشخصية وذلك من خلال حركيتهم مع المكان.

➢ أهمية المكان في البناء الروائي:

يلعب المكان دورا هاما في تكوين حياة الإنسان وترسيخ كيانه وتثبيت هويته، وتأطير طبائعه، أي تحديد توجيهاته وتصرفاته وإدراكه للأشياء، وهذا لكونه التصاقا بحياة الإنسان وأكثر تغلغلا في كيانه، وذلك لأن المكان يدرك إدراكا حسيا يبدأ بخبرة الإنسان بجسده، هذا الجسد'المكان' هو مكمن القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوية للكائن الحي"[2]، ليتعداه بعدها إلى الحيز الّذي يحتويه، ثم إلى البيت ثم إلى أمكنة غيره، وللمكان قدرة تأثيرية على الشخصية فيؤثر في طبيعة اللغة واللهجات التي نستعملها وكذا إلى اختلاف سلوكها وانطباعها بطبعه.

إن الحديث عن أهمية المكان لا يمكن حصره في مكان دون آخر، وذلك لأن دور الأمكنة جديدة متخيلة تمثل الأمكنة الحقيقية وذلك بتسارعها لذهن القارئ لتقنعه بحقيقة وجودها، وعليه "

[1]- أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، دط، دت، ص 50.

[2]- محبوبة محمدي ابادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، دراسات في الأدب العربي، منشورات السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 92.

فان الأماكن مهما صغرت ومهما كبرت أو مهما اتسعت أو ضاقت مهما قلت أو كثرت، تظل في الرواية الجيدة مجموعة من المفاتيح الصغيرة التي تساعد على فك جو كبير مغاليق النص[1]

يعد المكان مسرح للأحداث والشخصيات، إذ كلما أتقن بناؤه أدت مكونات الرواية دورها بشكل أفضل وبذلك يتحول المكان " من مجرد إطار وأرضية إلى عنصر مشارك في العمل الأدبي بل وإلى واحد من أبطاله، وقد يصبح البطل الأول أو الأساسي"[2].

يمد المكان الإنسان بتصوراته ومفاهيمه ويكون دعامة أساسية لكل تصور إنساني فتترتب أهميته التي تحتوي الإنسان لشدة أو ضعف علاقة الإنسان به، ولعل مايفسر أهمية المكان أكثر ويعكس شدة تغلغله في كيان البشر هو أنه المنطلق لتفسير كل تصرف، فيحكم على سلوك الإنسان من خلال تواجده في المكان فضلا عن تعبير كل مفاهيم الإنسان الأخلاقية والنفسية والسلوكية(....)، بتعبير مكاني كأعلى وأسمى وواسع الصدر أو ضيقه[3].

[1]- شاكر نابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1994، ص276 .

[2]- محمد جبريل، مصدر المكان دراسة في القصة والرواية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، ط2، 2000، ص7.

[3]- محبوبة محمدي، محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، المرجع السابق، ص92.

الفصل الثاني

علاقة المكان بمكونات السرد

تمهيد

1-علاقة المكان بالزمان:

2-علاقة المكان بالشخصية:

3-علاقة المكان بالأحداث:

تمهيد

إن للمكان أهمية كبيرة داخل المتن الحكائي وذلك راجع لمجموعة العلاقات بينه وبين المكونات السردية الأخرى، فالمكان يقوم على مجموعة علاقات تساعد في بناءه داخل النص السردي، وهذا ما يوضحه **حسن بحراوي** في قوله «**إن بناء المكان الروائي يبدو مرتبطا بخطية الأحداث السردية، وبالتالي يمكن القول بأنه هو المسار الّذي يتبعه اتجاه السرد**»[1].

وتعيين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي كون أن المكان يرتبط مع المكونات السردية الأخرى، يقول **حسن بحراوي** «**يرتبط الفضاء الروائي بزمن القصة، ويقيم صلات وثيقة مع باقي المكونات الحكائية في النص وتأتي في مقدمتها علاقته بالحدث الروائي والشخصيات الخيلية**»[2]

أي أن المكان يرتبط ويتشابك بمختلف مكونات الرواية ويؤدي المكان أدوار مهمة على المستويين البنائي والحكائي.

نجد أن عناصر السرد تتداخل فيما بينها لتشكل عمل حكائي يقول **سعيد يقطين** « **هذه العناصر مجتمعة تتداخل وتتراكب في مجرى العمل الحكائي مشكلة حكائيته: انتمائه إلى جنس السرد أو الخبر**»[3].

والمكان لايعني أبدا المكان الجغرافي المحدد المحدود الصامت الثابت بل هو يشمل البيئة بزمانها وأحداثها وشخوصها وهمومها وعاداتها وتقاليدها، يؤثر ويتأثر ويتفاعل مع الشخصيات وأفكارها وطموحاتها، كما يتفاعل مع الكاتب الروائي فهو متحرك يحوي[4].

فالمكان هو الخلفية التي تقع عليها أحداث الرواية وتتفاعل في إطاره الشخصيات والأفكارفهناك علاقة متينة تجمع بين المكان وبقية المكونات السردية شبهها **حميد لحميداني بالخلية** « **فان كان الزمن والشخصيات والأحداث يمثلون النواة داخل هذه الخلفية فان المكان يمثل السيتوبلازم الّذي تسبح فيه تلك النواة** »[5]

لايمكننا فهم أبعاد النص ودلالته إلا ضمن هذه العلاقات التي تأثر وتتأثر ببعضها البعض فتنتج لنا نص متكامل،ومن بين هاته العلاقات نجد:

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المرجع السابق، ص29

[2] – المرجع نفسه ص29.

[3] – سعيد يقطين، قال الرواي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997، ص 20.

[4] –حميد حمداني ، بنية النص السدري، المرجع السابق، ص 81

[5] –الماضي شكري، فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان ، الأردن، د–ط، 1996، ص39

1-علاقة المكان بالزمان:

ارتكزت روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي في بناء مسارها على الربط بين كل من الفضاء والزمن والشخصية، وهذه العناصر السردية شديدة الارتباط ببعضها البعض، وبالتالي تصبح العلاقة التي تجمع هذه العناصر هي علاقة تكامل وترابط يستحيل الفصل بينهما وهذا ما سنوضحه من خلال دراسة روايتيّ [**الوشم- القمر والأسوار**].

إن المكان والزمن تجمع بينهما علاقة تواصل ولا يمكن أن نستغني على أحدهما، فلا مكان بدون زمانه، كما أسلفنا في نفس الوقت الّذي تدمره الصور الشعرية العلاقة المنطقية بين الماضي والحاضر والمستقبل وتتحول إلى "زمكانية" وجودية خاصة بتكوينها وهي قادرة على تحول الزمان إلى المكان، والمكان إلى زمان بفضل ما تتميز به من قدرة على تخطي حواجز الزمان والمكان وإبدالهما في وجود جديد[1].

-عندما تحدثنا عن المكان فإننا نتحدث عن زمانه لأن الزمان أحد أبعاد المكان وهذا ما يوضحه **مهدي عبيدي حيث نجده يقول « يتضمن المكان الزمن بشكل أو بآخر فالمكان تجربة حياتية يحدد وجودها واستمرارها الإنسان في تشكيل المكان وإبداعه، وعندما نتحدث عن المكان فإننا نتحدث عن زمانه ولذلك يعد الزمان أحد أبعاد المكان، ويعد مفهوم الزمن الروائي مكونا أساسيا في بنية النص السردي والروائي»**[2].

إن ماينطبق على الشخصية من حيث علاقتها بالمكان ينطبق على الزمان أيضا، فما توضحه الرواية الكلاسيكية بأنها تعد رواية زمانية لا يعني أنه العنصر الوحيد الّذي شكل بنية الرواية، وإنما عنت به العنصر السائد والمهيمن على البناء الروائي آنذاك.

- فالرواية بوصفها فنا زمانيا ومكانيا في آن واحد، لا يمكن أن ينفصل فيها الزمان عن المكانوهذا ما أكدته الدراسات الحديثة فيرى **باختين** استحالة فصلهما تماما، ولا يمكن تصور أحدهما بمعزل عن الآخر من أجل تأكيده على هذه النقطة (أي دمجهما معا) يتوصل إلى صياغة مصطلح

[1]- سيزا قاسم، يوري لوتمان وآخرون، جماليات المكان عيون المقلاتباندونغ للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1988، ص 22.

[2]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية نظامية ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، دط، 2011، ص225.

اجرائي سماه (**الكرونطب) وهو** ما يمكن أن نطلق عليه:(الزمكان)، يقول **باختين** «**أن الكرونطب يعين الوحدة الفنية للعمل الأدبي في علاقته مع الحقيقة**»[1].

أما بالنسبة للزمن الروائي فانه يمثل محور الرواية وعمودها الأساسي مثلما هو محو الحياة يقول **عثمان بدور** « **اذا كان الأدب يعتبر فنا زمنيا اذ صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية، فان القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن**»[2].

فالمكان والزمان توائم لا ينفصل أحدهما عن الأخر وهذا ما تؤكده التصورات الفلسفية الحديثة والمعاصرة، والزمن يدخل في علاقات متنوعة مع عناصر السرد، الأخرى يقول **أحمد حمد النعيمي** «**الزمن لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد، فالشخصيات التي تتأثر بمكان ما فانه لا تتأثر به إلا من خلال فعل الزمن في ذلك المكان**»[3].

يوضح **حسن نجمي** بأن الحركة السردية انتاج مشترك لكل من المكان والزمن حيث نجده يقول« **الكتابة الروائية نتاجا لمجرى الزمن الحكائي والسردي فقط، بل هي نتاج مشترك لهذين العنصريين السياميين: الزمن والفضاء، نتاج لتظافرهما، لتصارعهما لتقاربهما، لتباعدهما ولكل حركتهما الشاملة**»[4].

- إنالحديث عن المكان والزمان قد لاح في الأفق منذ أزل بعيد فكل الإنسان على وجه المعمورة يكون ولابد قد عاش في زمان ما وقطن في مكان ما شاء أم أبى فلذلك أسمى بهما البقاء والمحدثون على مر العصور لما لعلاقتهما الوثيقة في مجال العلم والمعرفة.
- ومن الألوانالأدبية التي تحدث عنهما العمل الروائي الّذي يعد قصة طويلة جدا تروي أحداثا لا تخلو من مكان وزمان معين.

ولروايتي (**الوشم – القمر والأسوار**) **لعبد الرحمن مجيد الربيعي** حضورا قويا وبارزا لهذين العنصريين" المكان والزمان" فنجد أن هناك اتساقا وانسجاما تاما ووثيقا فيظهر في مستهل رواية الوشم

[1]– منيب محمد البوريمي، الفضاء الروائي في الغربة، (الإطار والدلالة)، ص23.

[2]– عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص115.

[3]– أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص78.

[4]– حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2000، ص 65.

إذ يقول الربيعي «**تنفس كريم الناصري هواء الشارع بعد اختناق عريض مسببة شهور جائرة طوقته بدقائقها ورعبها وغرست فيه الدم والعظم والأعصاب**»[1].

– أبرزت الرواية زمان ومكان في مستهلها، حيث ارتبط بمكان معين "الشارع" وزمان اختناق دام " سبعة شهور.

– لما لقيت هذه الشخصية وذاقت ويلات الرعب والاختناق وصل حد البعد النفسي والفرار من الواقع المرير الّذي أوصله إلى منتهى مجهول وأثر على صحته وعافيته.

نجد ارتباط ديموميا بين عنصري الزمان والمكان فهناك تمازج بينهما في مستهل رواية القمر والأسوار نجد أن الراوي يقول «**كانت حسنة سمراء وناعمة جف لحمها ولم يبقى من جسدها غير هيكل صغير شاحب حيث حدث لها ذلك بعد أن أصيبت مؤلمة صدرية منذ سنوات وكانت في رحلة إلى قريتها أبو هارون الواقعة في منتصف بين الشطرة والرافعي** »[2] هنا يظهر ارتباط المكان بالزمان حيث ارتبطت الرحلة إلى قرية أبو مازن بمرض حسنة نزلة صدرية قبل سنوات فالرحلة إلى القرية تمثل ذكرى وواقع أليم فبسبب الرحلة مرضت حسنة وفقدت صحتها حتى هزلت وجف لحمها[3].

●يستمر التمازج بين المكان والزمان ففي رواية الوشم نجد أنهما مرتبطين ببعضهما البعض ويظهر هذا في حديث "**كريم الناصري**" مع صديقه حسون، يبين خسارته لمدينته ووظيفته وآماله ويصرح بوضعه المزري، والمبلغ الضئيل الّذي تسعفه به عائلته في نهاية كل شهر، ويظهر ارتباط الزمان بالمكان من خلال قوله «**وفي أواخر الليل يستقبلني فندق رخيص يقع في نهاية زقاق يتفرغ في شارع رشيد**»[4].

– أبرز قول الناصري ارتباط الزمان بالمكان، فقد ارتبط الزمان" آخر الليل" بالمكان الّذي يستقبل الناصري وهو" فندق رخيص" الّذي يقع في نهاية الشارع الرشيد.

[1]– عبد الرحمن مجيد الربيعي، رواية الوشم. ، دار العربية للكتاب، ليبيا–تونس، د–ط، 1977، ص7

[2]عبد الرحمن مجيد الربيعي،القمر الاسوار ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 10

[3]– القمر والأسوار، ص10.

[4]– رواية الوشم. ص8

●كذلك نجد في رواية القمر الأسوار تلاصقا وتمازج بين عنصري الزمان والمكان ويظهر هذا في قول الراوي«**وقد مكثت في المستشفى المدينة ثلاثة أسابيع خرجت بعدها وقد انتزع المرض منها كل علامات الشباب والبهاء**»[1] .

●هنا ارتبط المكان مستشفى بالزمان وهو مكون شخصية بالمستشفى في مدة ثلاثة أسابيع.

●يتواصل تمازج الزمان بالمكان في رواية الوشم عندما حكى الراوي"مجيد الربيعي" عندما أرسل له صديقه "مجيد عمران"خبر سفره إلى حج بيت الله، حيث نجد الراوي قاصا ومعبرا «**أزف اليك نبأ سفري إلى حج بيت الله الحرام في الشهر القادم لألبي دعوة الله وأتبرك في بيته**»[2].

●يظهر من هذاالقول الارتباط الوثيق بين الزمان والمكان فنجد أنه قد وصف الزمان وهو "**الشهر القادم**" ذو الحجة، وارتباطه المكان وهو " زيارة بيت الله" الكعبة الشرقية.

كذلك نجد الارتباط الديمومي لهذين العنصريين ويتضح هذا في رواية القمر والأسوار، عند ما قال **حميد** لزوجته « **سأنام بعض الوقت قبل أن يعود عباس وكمال من المدرسة** »[3]هنا ارتباط الزمانبالمكان ويظهر ذلك في محاولة حميد للنوم "بعض الوقت " لكي يكسب راحته بغفوة قليلة بالمكان وهو " المدرسة" التي يدرس بها أولاده فهو يريد أن ينام قليلا قبل خروج أولاده من المدرسة.

وفي موضع أخر من رواية "الوشم " نجد تشابك الزمان بالمكان ويظهر هذا من خلال قول الراوي: «**رغم اعتدال الجو وانحسار البرودة عنه، بقي المطر متمردا على قانون الفصول ولم يرضى الإذعان لأيام الصيف التي بدأت بالزحف وأخذ نثيث المطر يغسل وجه بغداد بمأثرها وباصاتها ونساءها المعطرات ورجالها اللاهثين**»[4].

هناك عارض زمني في هذا القول لوجود رذاذ المطر في فصل الصيف والذي في أصله يكون تهاطل المطر شتاءً غسل بدوره وجه بغداد في عز الصيف.

[1]- رواية القمر والأسوار، ص10.

[2]- رواية الوشم. ص26

[3] القمر والأسوار، ص13

[4]- رواية الوشم.ص36.

وفي رواية القمر والأسوار في موضع أخر نجد تمازج الزمان بالمكان يحكي قائلا «**حملها حميد من القرية وجاء بها إلى الناصرية لينتقل بين المهن الصغيرة حتى انتهى به المطاف حارسا ليليا يجوب أزقة المدينة وشوارعها المظلمة ليطرد عنها اللصوص الزاحفين من القرى القريبة**»[1].

يرتبط الثنائي الزمان والمكان وتتغلغل في كل المواضيع هاته العلاقة الوطيدة بينهما ففي رواية الوشم نجد أن الراوي يقول « **هل أستطيع البقاء هنا لو لم تكن مريم معي؟**»[2]. أيدفئ أجده بين هذه الجدران الموحشة كآثار التي كنا نمضي إليها في رحلات مدرسية فنجدها متوحدة رابطة وسط صحراء بكماء لا يمر فيها إلا قطار ليلي متباطئ؟.

هنا نجد علاقة المكان بالزمان حيث أن هناك المكان المتخيل " **وسط صحراء بكماء** " وارتباطه بالزمان متخيل يوضح طول الوقت في قطار متباطئ " قطار ليلي متباطئ" .

– وفي رواية القمر والأسوار نجد الراوي يقول « **توقف في رأس الجسر قرب مظلة شرطي المرور فاسحا المجال لقطيع من الأغنام ورعاته ليعبر قبله موصلا رحلة العودة من الصحراء بعد أن مكث فيها طيلة أيام الشتاء**»[3]

– هنا يظهر التلازم والتلاصق المستمر لعنصري الزمان فنجد أن عزيز استيقظ من تأملاته وتوقف بعدها في " **رأس الجسر**" ثم مواصلته لرحلة العودة من الصحراء بعد أن مكث فيها طيلة "**أيام الشتاء**"

– وفي النص السردي الموسوم ب "**الوشم**" يتواصل تمازج وارتباط الزمان بالمكان وهذا ما يوضح العلاقة المتينة بين هاذين العنصريين، ويظهر هذا في قول الراوي في نهاية رواية الوشم «**إنني مسافر غدا إلى الكويت، لقد استقلت من الجريدة والشركة وسأبدأ حياتي هناك من جديد**»[4]. ارتبط هنا الزمان بالمكان عندما أخبر كريم النصيري مريم بأنه "**غدا**" سيسافر إلى "**الكويت**".

[1]– رواية القمر والأسوار، ص14.
[2]– رواية الوشم.ص94.
[3]القمر والأسوار، ص176.
[4]– الوشم ، ص 106.

– نجد كذلك في نهاية رواية القمر والأسوار تداخل الزمان بالمكان حيث يقول الراوي عندما أخبر كامل عمته بما توصل إليه حيث نجده يقول «**اننا في معركة معهم وعلينا أن نخوضها إلى النهاية، هذا ما توصلت إليه في هذه الأيام الأربعة التي أمضيتها في سجنهم**»[1].

– من هذا القول نجد وجود فضاء واقعي وهو" السجن" فالسجن مكان يوحي إلى الضيق والعزلة والمعيشة المريرة وارتباطه بمدة زمنية معينة وهي مدة "**أربعة أيام**".

ان الحديث عن الزمان والمكان قد لاح في الأفق منذ أزل بعيد فكل إنسان على وجه المعمورة، يكون لابدّ قد عاش في زمان ما وقطن في مكان ماشاء أم أبى، فلذلك اهتم بهما النقاد والمحدثون على مر العصور لما لعلاقتهما الوثيقة في مجال العلم والمعرفة.

ومن الألوان الأدبية التي تحدثت عنهما " العمل الروائي" الّذي يعد قصة طويلة جدا تروي أحداث لا تخلو من مكان وزمان معينين.

ولروايتي " **الوشم – القمر والأسوار**" **لعبد الرحمن مجيد الربيعي** حضورا قوياوبارز لهذين العنصرين " المكان الزمان" فنجد أن هناك اتساقا وانسجاما تاما ووثيقا، فيظهر في مستهل رواية الوشم اذ يقول الربيعي «**تنفس كريم الناصري هواء الشارع بعد اختناق عريض سبعة شهور جائرة طوقته بدقائقها ورعبها وهرست منه الدم والعظم والأعصاب**»[2]

2–علاقة المكان بالشخصية:

لم يقتصر دور المكان في نظر الباحثين على البعد الجغرافي فقط، بل تعداه إلى أكثر من ذلك فالمكان له علاقة بمكونات السرد الأخرى ومن بين هذه المكونات نجد الشخصية، فللمكان علاقة بالإنسان وهذا ما أكده "غاستون باشلار" عندما تحدث عن المكان وعلاقته بالإنسان في قوله«**إن المكان الّذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب فهو قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل كل في الخيال من تمييز**»[3].

[1]– القمر والأسوار، ص333.

[2]– رواية الوشم، ص7

[3]– غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالبا هلسا، ط1، 1994، ص 31.

من قول باشلار تظهر العلاقة الوطيدة بين المكان والشخصية فالمكان «**كائنا حيا يمارس حركية في الخطاب يؤثر بباقي المكونات الروائية خاصة الشخصية**»[1] .

– إن لكل شخصية وظيفتها الخاصة ولابد من أن تكون وظيفة الشخصية في مكان مالذا فإن للمكان والشخصية علاقة متلازمة وهذا ما يؤكد عليه **سعيد حوارنية** «**للمكان حضور فاعل في حياة كل شخصية فهو الّذي يثير فيها إحساسا ما بالمواطنة، وإحساسا آخر بالزمن وبالمحلية حتى لتحسبه الكيان الّذي لا يحدث شئبدونه، فكان واقعا رمزا، تاريخا قديما وآخر معاصرا شرائح وقطاعات ومدن وقرى حقيقية، وأخرى مبنية من الخيال كيان تتلمسه وتراه وكونا مهجورا غرفتهسديمات لا نهاية لها**»[2]

ومن خلال ذلك فان الشخصيات تقوم بالعديد من الأدوار داخل العمل الروائي وفي هذا الصدد يقول **حميد الحميداني**: «**ماهو أساسي فيه، هو الأدوار التي تقوم بها الشخصيات، فعن هذه الأدوار ينشأ المعنى الكلي للنص، وهذا هو سبب تحول الشكلانيين والبنائين معا إلى الاهتمام بالشخصية الحكائية من حيث الأعمال التي تقوم بها، أكثر من الاهتمام بصفتها ومظاهرها الخارجية**»[3].

لابد أن تؤدي الشخصيات أدوارها في أماكن محددة، وهذا يبين أن للمكان دور في حياة الشخصيات.

لم تعد للشخصية تلك الأهمية والقداسة بعد تطور المناهج النقدية المعاصرة فتراجعت مكانتها بين المكونات السردية الأخرى (المكان الزمان، الحدث)، لذلك نجد بعض الروائيين لم يكلفوا أنفسهم عناء اعطاء اسم لها وهذا ما توضحه **ناتلي ساروت** في قولها «**الشخصية لم تعد اليوم سوى ظلالها، والروائي يمنحها من وراء قلبه كل مايمكن أن يريحها بسهولة شكل جسدي، حركات، أفعال، أحاسيس، مشاعر فياضة، وكلها أشياء مدروسة ومعروفة منذ زمن بعيد، تساعد**

[1]– الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص191.

[2]– سعيد حوارنية، مرجع سابق، ص89.

[3]– حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 52.

علىإعطاءه بشكل جيد مظهر الحياة، وتمنح للقارئ قناعة مريحة، حتى الاسم الّذي يحتاج إليه كضرورة، يعد لباسا غربيا بالنسبة للشخصية»[1].

يتضح ابتعاد الروائيين عن الاهتمام بالشخصية ، وأن الأسماء لهذه الشخصيات غرضه التمييز بينها، وأن الروائيين إذا اهتموا بالشخصية فذلك يسكون من باب الضرورة الفنية.

وهكذا تتضح العلاقةالوطيدة بين المكان والشخصيةالروائية في رواية الربيع حيث تنوع الأمكنة وتعددت ومن بين هذه الأمكنة نجد:

- **المدينة**

إذا نظرنا في رواية الوشم سنجد تماثل في توظيف المكان حيث تنوعت الأماكن وتعددت وفقا للأحداثالمسرودة حيث نجد مدينه العراق حاضرة بكل صورها في رواية الوشم يقول الراوي:«**عندما وضع جسده في القطار الصاعد إلى بغداد قال له حسون لسلمان أتمنىأن تصحو يا كريم وان تعود إليبأقرب وقت»**[2].

نلاحظ تغير المكان في خيال شخصية بطل الرواية،فتخليه لحياةجديدة في بغداد دفعه للسفر وركوبالقطار

تظهر العلاقة بين الشخصية والمكان جليا في هذا المقطع، فبغداد تمثل راحةالنفسية وحياةأحسنبالنسبة لشخصية"كريم الناصري"فهي كانتبمثابة الوكر قصدها كريم الناصري للاختباء في زحمة شوارعها، فبغداد رمز للأمان إبانالحقبةالعصبية من التاريخ السياسي للعراق.

فالقطار معبر وجسر يتيح تغير الأجواء والانتقال من مكان "الناصرية"إلى آخر"بغداد" بحثا عن الراحةوالطمأنينة والاستقرار النفسي.

نجد كذلك حضور المدينة في رواية"القمر والأسوار" وذلك عندما تحدث الراوي عن انتفاض قلب القاهرة يقول «**شملت المدينة موجة من الفرح بهتتأمامها كل المصائب والأحزانالقديمةعندما**

[1]– ساروت ناتلي، عصر الشك، تر: فتحي العشري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص43.

[2] الوشم ، ص07

انتفض قلب القاهرةالعربي وأسقط النظام الملكي، هناك وبدأ المواطنون بإظهار فرحهم متحدين السلطةوأجهزتها ومخابريها وقاموا بتوزيع الحلوى والمبردات»[1].

من خلال هذا القول نجد أن مدينه القاهرة كانت تمثل حالة حزن بالنسبة لشخصيات هذه المدينة وذلك بسبب النظام الحاكم، وبعد الانتفاضة تحول قلب المدينة إلى مكان للسعادة والفرح حيث تم توزيع الحلوى وعمتالفرحة لجميع الشخصيات.

اندملت الجراح في مصر بعد سقوط النظام الملكي فالمكان والشخصيات لها من الأواصر والروابط ما لا يستهان به والعلاقة هنا علاقة أمننفسي داخلي فسقوط هو بمثابة ميلادي جديد وتهيئه جديدة.

- **الشاطئ:**

وهو من الأماكنالمفتوحة التي وردت في الروايةفالشاطئ مكان يقصده الناس للسباحة وللتسليةوالراحة وصفاء الذهن ونلمح هذا في رواية الوشم فقد عاد المكان بالايجاب على الشخصية الرئيسية حيث كان يقصد كل من"كريم الناصري" و"أسيل عمران" بغرض التنزه فتذكر "كريم" الشاطئ جاء بعد ضيق صدره وتذكره للمكان غير من مزاجه«**وشعرت برغبة فيملامستي يد ي أسيل عمران.... وكانت الزوارق الرياضية تنطلق مرحه من المسبح الطلبي فأتمنى لو كنت واحده من اشق صدر الفرات النائم»**[2].

كان شاطئ الفرات المرجع الأساسي لأنستكريم الناصري فيظهر جليا أن لهذا المكان تأثيرا كبيرا على شخصية كريم في الرواية،أماالوظيفةالسردية لهذا المكان في رواية الوشم فتكمن في كونه الموقع الأساس لصفاء الذهن والراحةالنفسية، وذلك لما توفره طبيعةهذا المكان من راحة، فعاد بالإيجاب على شخصية الكريم الناصري وتذكره أدى به للوصول إلى الأفضل.

ويظهر شاطئ في رواية القمر والأسوار في قول الراوي «**بعد أن غادر عزيز المقهى ماشياباتجاه النهر، وجلس بعض الوقت على احد المساطب، وراقب من بعيد العمال الذين يواصلون تشيد**

[1] القمر والأسوار ، ص 256

[2] الوشم، ص30

الجسرالجديد،كما أنصتإلى أغاني الصيادين البعيدة وهم يسحبون شباكهم الكبيرةإلى الشاطئ، تنفس ملئ صدره فأحس براحه عميقة»[1].

يظهر جليا من هذا المقطع أن الشاطئ متنفس لشخصية"عزيز" ففي الشاطئ يفرغ وحدته ويتأمل، وهذا دفعه إلى الإحساس براحه عميقة، فالشاطئ له تأثير على نفسية"عزيز" تمثلت في شعوره بالراحة.

- **المقهى :**

المقهى فضاء اللقاءات العفوية والمخطط لها مما يجعله الفضاء الأكثر قدرة على احتواء الشخصياتوالأحداثوالأفكار، فهو المكان الأكثر شعبية واكتظاظ، على مدار اليوم فهو يحمل بعدا جماليا ودلاليا،بالإضافةإلى كونه جزء من تركيبةالمدينة،يوحي في كثير من الأحيان بالهروب/العبور/التأمل وهو شاهد عيان على أوضاعشريحة كبيرة من المجتمع تلجأإليه بحثا عن الهدوء /الانزواء/ تبادل الأفكاروأخيراإضاعة الوقت بين الدردشة والاستماع أو التسلية بممارسة لعبة من الألعاب[2].

وقد تجلى المقهى في روايتيّ عبد الرحمن مجيد الربيعي نجد في رواية"القمر والأسوار"حضور المقهى: يقول الرواي: «**شعرت بالقرف فجأة لم أرى على الشاطئ وجه إمرأة واحدة ماعدا عجوز تستجدي– هذا المقهى أصبح محور لناإننا ندور ثم نعود**»[3].

فالمقهى هنا هو مكان لتمديد الوقت وتبادل الموضوعات بين "عزيز" وصديقه "عبد الله" فالمقهى محور أساسي لكل من عزيز وعبد الله.

نلاحظ تنافر شخصية عزيز من المقهى، فهنا المقهى مكانا للتأمل[الشاطئ]فهو بمثابة برج المراقبة لهاتين الشخصيتين فالمقهى مكان لجأإليه"عزيز" للهروب من الواقع ومحاولة الاحتماء

علاقةالشخصية بالمقهى تمثلت في وصف الجانب النفسي والتذمر لشخصية"عزيز" فكانت فالأولعلاقة تلازمية بين الشخصية عزيز والمقهى ثم أصبحتعلاقة تنافر بعد تذمر عزيز وشعوره بالقرف.

---

[1] القمر والأسوار، ص 216-217

[2] هدية مزرق، جماليات القصة القصيرة بين النظرية والتطبيق، دار هباتايا للنشر، د ب ، ط1، 2013، ص 267

[3] القمر والأسوار ، ص26

المقهى في رواية الوشم ظهر جليا عندما لجأإليه الناصري بحثا عن الهدوء والأمان محاولا التخلص من الماضي الملطخ بالهزيمة ومحاولا البحث عن ذاته، يقول الراوي ففي «**زحمة المقهى أراد الناصري أن يجد نفسه ويتخلص من ماضيه الملطخ بالهزيمة والانكسار، بعد أنأحس شيئا في داخله قد نسف**»[1].

فالمقهى هنا لم يستخدم للهو ولا لتضييع الوقت بل الذهاب إليه كان من أجل الانزواء ومحاولة البحث عن الذات، فالربيعي نظر للمقهى بعين سيسيولوجية فالمقهى هنا بمثابةالملجأ لجأإليه الناصري عندما أحس بضيق صدره.

نلاحظ هنا أن المقهى مكان لنسيان الهزيمة والانكسار ،كما أنه مكان لجأإليه الناصري بحثا عن الطاقةالايجابية في نفسيته.

- **البيت:**

البيت مملكةالإنسان التي يمارس فيها حياته ووجوده، ويشعر بذاته فيه وضمن تركيبة البيت المكانية تتجسد تركيبة المشاعر وتركيبةالأفعال[2].

ظهر في هذه الرواية استخدام البيت حيث أعلن العريف "مظهر" بمغادرة البيت ويقرر بيعه،«**سأبيع بيتي قبل أيام دفعوا لي مئتي دينار،سأشتري قطعه أرض في الجهةالأخرى من النهر أبني فيها بيتا صغيرا وبما يتبقى أبني دكانا.....ولما العجلة.....أرى المرحوم في كل مكان من البيت،وأمه كذلك إنهاكالمجنونة وتصرخ أبعدني عن هذا المكان**»[3].

يعد البيت بؤرةإشعاع قائمة على تشكل الجانب النفسي للإنسانبآماله وطموحاتهوتفرده عن الآخر وهكذا يصبح البيت أهم مكان تتجلى فيه الألفة بين أفرادالعائلة، كما أن البيت يوفر لنا الحمايةلأحلامناوأهدافنا، وهذا ما لم نجده في رواية"القمر والأسوار"، فالبيت لم يصبح مبعث للطمأنينةوالراحة للساكنين بل باعثا للرعب والذعر، جراءه وفاة ابن العريف ونظرا لما يحيط بهذا المكان من ظروف وأجواءمأساوية، قرر العريف بيعه ومغادرته.

[1] ينظر:الوشم، ص 07

[2] ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1 ، 1986، ص 71

[3] القمر والأسوار، ص 166

نلاحظ علاقة تنافر وهروب قائمة بين المكان وساكنيه أي البيت الّذي فيه ذكريات المرحوم، هذا الأمر الّذي دفع سكانه إلى هجرته وبيعه.

كما أسلفنا سابقا أن البيت مملكةالإنسان الّذي يمارس فيها وجوده وحياته ، ويشعر بذاته ففي رواية الوشم جاء البيت بهذا الانطباع حين تذكر "الناصري" دخوله للبيت مع أسيل عمران فتذكره للبيت كان نتيجةالغربة والاضطراباتالنفسيةالتييحسهاداخلالمعتقل،يقولالراوي:«**كانتتلكأولمرةاجتمعفيهامعأسيلبينجدرانأربعةفي غرفةموصدةالباب....فارتسمفيرأسيذلكالأمانالبيتيالفقيد**»[1].

نلاحظعلاقةتنافروهروبمنالواقعالمعاش[المعتقل]والهروبإلى مكانالأمان[البيت]فيذاكره"كريمالناصري"فالبيتفيهذكرياتحلوةوأمنوهذامادفع"كريم"لتذكرهفبتذكرهالبيتشعر بالأمان.

يظهرحنينشخصية"هاتف"لمنزلهومسقطرأسهومنبتالطفولة.

لمتكنهذهالأمنيةتسكنهوحيدابلهيفيالواقعأمنية والدهأيضا،فالمكانلهارتباطكبيربالإنسان إذأنهيعدنموذجالهويتهوأصالتهفالمكانوالشخصياتلهامنالأواصروالروابطمالايستهانبه،فالعلاقةبينهماهيعلاقةال ولدبأمه،ولايستطيعالولدأنيمضييقدمامالميكنهناكاتصالقوي(روحاني– واقع)فلايمكنلأيشخصيةالتفريطفيمكانها.

العلاقةالثانيةعلاقةأمنالنفسيداخليفالعودةإلى "السماوة"هوبمثابةبعثجديدوتهيئةجديدة، وفيالروايةنلمسذلكالخيطالرفيعفيحنينشخصية"هاتف"وحنينوالدهويظهرهذافيالرواية«**أفكرفيالعودةإلىالسـ ماوةمنجديدإنهامسقطرأسيوكان والدييحلمبأنيعودإليها**»[2]،فالرجوعإليهاكانمتخيلافقط ، ومنه يمكنإدراجالمخططالتالي:

رجوعغيرحقيقيحياة ←

استقرارفيالغربةموت ←

[1] الوشم، ص 57-58

[2] القمر والأسوار، ص277

ومنخلالهذاالمخططنستنتجأنالموتالفيزيولوجيلميتمبينماالموتالمعنويقدتم،
والرجوعلميتمولكنفيالمتخيلقدتم،فعلاقةالشخصبالمكانعلاقةموتوحياة.

3-علاقة المكان بالأحداث:

مفهوم الحدث: يعد الحدث أساس الرواية فهو بمثابة العمود الفقري المحمل للعناصر السردية في الخطاب الأدبي (الزمان – المكان – الشخصيات)« **هو عبارة عن مجموعة أفعال ووقائع مرتبة ترتيبا سببيا، تدور حول موضوع وتصور الشخصية وتكشف عن أبعادها، وعملها له معني، كما تكشف الأحداث عن صراع الشخصيات الأخرى وهي المحور الأساسي الّذي ترتبط به باقي عناصر القصة ارتباطا وثيقا**»[1]، فالحدث يمثل الركيزة الأساسية في الرواية أو القصة، والحدث هو ترتيب مجموعة من الأفعال والوقائع وفق تسلسل زمني أي ارتباط فعل بزمن كما، كما يقتضي الحدث وجود إطار مكاني معين.

ويعد الحدث أهم عنصر في العمل السردي ففيه تنمو المواقف وتتحرك الشخصيات " والحدث الروائي ليس كالحدث الواقعي تماما في الحياة اليومية"، وان انطلق أساسا من الواقع ذلك لأن الروائي حين يكتب روايته يختار من الأحداث الحيائية مايراه مناسبا لكتابة روايته، كما أنه يحذف ويضيف وينتقي من خياله الفني ومخزونه الثقافي، ما يجعل الحدث الروائي شيئا آخر، لانجد له في واقعنا المعاش صورة طبق الأصل...)[2].

ان المكان في الرواية وعاء لكل مايتعلق بالشخصيات من أفعال وحركات وهو بذلك مجالا للعلاقات بينها، فالمكان في الرواية يأثر تأثير كبير في شخصياتها يقول **ياسين النصير** « **المكان في العمل الفني شخصية متماسكة، ومسافة مقاسة بالكلمات، ورواية لأمور غائرة في الذات الاجتماعية، ولذا لا يصبح غطاء خارجيا أو شيئا ثانويا، بل هو الوعاء الّذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني**»[3].

[1]- صبيحة عودة زغرب، غسان كنفاني (جمالية السرد في الخطاب الروائي)، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 1996، ص 37.
[2]- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظريةوالتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2015، ص 37.
[3]- ياسين النصيرة، الرواية والمكان، سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص17.

ويرتبط الإنسان ارتباط وثيقا بالمكان، فأقصى عقبات للإنسان وأشده هو الطرد من المكان الّذي تحقق فيه إلى مكان آخر لم يألفه ولا يعرفه يقول **خضر محجز «إنإدراكالإنسان للمكان هو ادارك حسي مباشر طول الحياة، فوجود الإنسان للمكان لا يتحقق إلا من خلال علاقته بالمكان، وعلى قدر إحساسه بهذه العلاقة يكون إحساسه بذاته»**[1].

يتضح أن إحساسالإنسان بذاته لا يتحقق إلا من خلال وجود المكان الّذي ينتمي إليه.

إذن نجد أن الحث أهم عنصرفي العمل السردي وأن الحدث الروائي ليس كالحدث الواقعي، وان انطلق أساسا من الواقع فالروائي يتصرف في حبك أحداث الرواية وفي تسلسلها الزمني، كسرده للأحداث بشكل خطي (الطريقة التقليدية، أو تقنية السرد الحديثة الفلاش باك)

ونستطيع القول أن عنصر الحدث لا يقل أهمية عن غيره فهو الرابط الأساسي بين عناصر السرد، إذ لاقيمة للزمان والمكان والشخصيات من دونه، فبعبارة أبسط هو الشريان الّذي يضخ بحياة العناصر الأخرى، كماأنه يحافظ داخل الرواية على ترتيب حبكة الرواية ويتحكم في أدوار العناصر الأخرى ويبين أهميتها.

فأي إبداع سواء كان قصصي أم روائي أو أي فن من الفنون سواء السينمائية أو المسرحية لا تستغني عن هذا السكون الجوهري فهو يشكل صرحا فسيحا يسمح للشخصيات بالدرجة الأولى وباقي العناصر بدرجات متفاوتة أن تتحرك بداخله، وكما قالت أسماء شاهين في كتابها "جماليات المكان في رواية جيرار إبراهيم جرار" تقول " يحتاج إلى مكان للدور وتتحرك فيه الشخصيات ولا يهم إذا كان المكان حقيقيا أو خياليا"[2]، وكما أن هذا الصرح كما قلنا وصرحنا سابقايجب أن نعرف أين يجري هذا العنصر أي علينا الكشف أين تكمن جماليته ووظيفته المنوطة؟

حتى لا نغوص كثيرا في بحار التعريفات وننته إلى الوجهة المنشودة.

يجب التقييد أو التركيز على علاقة المكان بالحدث ذات طبيعتين أولاهما هي الوظيفة التي تربطهما معا، أو بالأحرى هي علاقة الفعل بالمفعول عليه، فالمكان بالنسبة للحدث يمثل الأرضية أو الميدان

[1]– خضر محجرة، تقنيات السرد الروائي، محتوى الشكل وأنماط الراوي في ثلاثية السرد عبد الرحمن منيف أرض عطية للنشر والتوزيع، غزة ، فلسطين، ط1، 2014، ص203.

[2]– أسماء شاهين، جماليات المكان في رواية حبرا ابراهيم جبرا، دار الفرارس، الأردن، ط1، 2001، ص11.

الّذي يقع عليه الحدث وكما أشارت قبلا الدكتورة أسماء شاهين " عن لا أهمية كون المكان حقيقي أم مستحيل.

أما الطبيعة الثانية التي تربطهما فهي الشعرية بما أن الحدث ليس له استقلالية عن المكان وظيفيا، فجماليا أيضا لا يستغني عنه، فهو بمثابة شجرة تنبت في أرضية عنصر المكان تعطي ثمارها (وظيفيا) وتمتع البصر (جماليا).

وكما أشار عليهما سلفا الدكتور **حسن بحراوي** حين قال « ان بناء المكان الروائي يبدو مرتبطا بخطية الأحداث....»[1].

من المسلم به أن أي عمل روائي أو بالأحرى أي عمل سردي يبنى على فعل أو مجموعة من الأحداث (الأفعال التي تشكل العمل الروائي) والحدث يؤدي إلى تغيير أمر أو خلق حركة أو إنتاجشيء حيث نجد **زيتوني لطيف** «**يعرف الحدث بقوله "يمكن تحديد الحدث في الرواية بأنه لعبة قوى متواجهة، أو متحالفة، تنطوي على أجزاء تشكل بدورها حالات محالفة أو مواجهة بين الشخصيات**»[2].

والأحداث في الرواية هي الرواية هي مجموعة من الأفعال التي تقوم بها الشخصيات وهذا ما سنوضحه من خلال دراسة روايتيّ "**الوشم – القمر والأسوار" لعبد الرحمن مجيد الربيعي**وفي الروايتين استخرجنا العلاقة ب المكان والزمان، فالأمر نفسه بالنسبة لثنائية المكان والأحداث، لأن أي حدث يرتبط بالضرورة بمكان يقع فيه سواء كان هذا المكان اختياري أو إجباري أو حتى من قبل المصادفة وفي الروايتين نجد العديد من الأمثلة منها: قول الراوي في مستهل رواية "**القمر والأسوار**" «**بدأ حميد بفتح حزامه الجلدي العريض ذا الخنجر الفضض، ثم ألقاه على سريره المصنوع من جريد النخل، ورفع العقال والبشماغ من فوق رأسه ورماهما على السرير أيضا**»[3].

فياستهلال الرواية وفي هذا المقطع بالتحديد وقعت عدة أحداث لشخصية واحدة داخل مكان واحد وهو الغرفة، فهنا وككل ما وجدناه داخل الرواية، قاسم مشترك وهو التعدد في الأحداث مع أحادية

[1]- حسن بحراوي، مصدر سابق، ص29.

[2]- زيتوني لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص74.

[3]- القمر والأسوار، ص09.

المكان، وهذا راجع لدقة المؤلف وميله للتفصيل، وأيضا براعته في الحفاظ على التسلسل المنطقي للأحداث وتوزيعها في المكان المخصص، وهو ماجسد العلاقة المتلازمة بين الأحداث ومكان وقوعها، ففي هذا المقطع " المستهل"، وقعت التفاصيل وفق تتابع حقيقي معقول، من دخول شخصية حميد إلى الغرفة وما قام به من أحداث، فالغرفة هي المكان الملائم لطبيعة ما قام به حميد ففتح الحزام الجلدي، حمل الخنجر ورميه على السرير هو إيحاء وتأكيد على وجود علاقة راحة واسترخاء، بين الشخصية والمكان وطبيعة المكان بالضرورة هي من تحكمت في الأحداث، فالمكان هذا مكان حقيقي وماوقع من أحداث حقيقية غير متخيلة، وطبيعة المكان هادئة وأليفة، إذن الغرفة هنا هي ملاذ الشخصية وتعتبر ملجأ، فالأحداث التي وقعت فيها هي التي أثبتت وأكدت العلاقة ويمكن القول أن البساطة في المكان لها دور في هدوء الأحداث فالسرير المصنوع من الجريد هو بساطه ونزع العقال والبيشماغ، ورميه على السرير هو حدث هادئ، فطبيعة الأحداث والمكان كون لنا صورة على العلاقة بينهما وتتسم هذه العلاقة في طليعتها على الهدوء والاستقرار.

والعلاقة الثانية التي تربطهما هي علاقة البساطة، ويمكن من خلال هذه الطبيعة القائمة بين الأحداث والمكان نكتشف نمط حياة الشخصية فهي علاقة برهان بالتراجع كما جاء في الرياضيات، فالهوية العربية ظهرت جليا من خلال اللباس وبساطة أثاث الغرفة وهداوة ورزانة الطباع عند الشخصية العربية وهو ما نادى به أصحاب اتجاه النقد الثقافي أمثال المفكر العربي **عبد الله محمد الغذامي** .

– إذن من خلال هذا المقطع الروائي يمكن الكشف عن العلاقة المتحكمة في الأحداث من خلال المكان.

وفي طليعة رواية "**الوشم** " «**هناك تداخل مفاهيمي حيث تتشابك العلاقة بين المكان والأحداث ويظهر في قول الراوي "تنفس كريم الناصري هواء الشارع بعد اختناق عريض، سبعة شهور جائرة طوقته بدقائقها ورعبها وهرست منه الدم والعظم والأعصاب، خرج كريم الناصري سالما طويلا ومبتسما يتفقد الأصدقاء ويرد التحية على الآخرين ويستقبل تهنئتهم بمناسبةإطلاق السراح**»[1].

[1]– الوشم ، ص31.

في هذا المقطع أيضا لايوجد خرق للأنظمة المنطقية بل حافظ المؤلف هاهنا على التسلسل المنطقي هنا على التسلسل المنطقي بل واعتمده كآلية كلاسيكية لم يحاول فيها لفت الانتباه لأنه صب جل اهتمامه والأوصاف وكيفية إيصالها لابالمحاولة في التميز الإبداعي وهي نقطة تحتسب للمؤلف، ودليل ذلك أنه جعل التبئير للمكان والأحداث على حساب الشخصية، فالحدث جاء متسلسلا بداية من خروج الشخصية " كريم" من السجن وهو الحيز المظلم الموحش إلى شمس الحرية خارج القضبان وهنا يمكن أن نقسم الأحداث إلى قسمين، القسم الأول الحجز، اللاحرية، المعاناة. القسم الثاني: الإفراج، الحرية، السعادة

هذه الثنائيات الضدية هي من كشفت لنا علاقة المكان بالأحداث فالقسم الأول كان فيه الفضاء مغلقا، والأحداث جلها مبنية على ثرثرة المساجين وطول المدة الزمنية سبعة أشهر ولدت أحداث عنائية وشجارات بين المساجين، ومادام المكان كذلك فلنا أن نتخيل طبيعة الأحداث داخل هذا المكان الموحش.

وفي الطرف الثاني وهو خروجه وتحرره نجد تغيير الأحداث وفق تغير المكان فقد تحولت المعاناةإلى سعادة وتغير الأشخاص فبعد ماكان وحيدا في الزنزانة وسط المساجين، فقد تحولت إلى ابتسامات موزعة في الشارع وسط الأصدقاء والمهنئين.

فالعلاقة بين المكان والأحداث تحكمها طبيعة متغيرة حسب مكان التواجد إذن فالعلاقة بين المكان والأحداث هي علاقة "ديناميكية وهدوء" (حرية وحجز)، (صمت وكلام) ، (ابتسامة واختناق).... فهذه الثنائيات الضدية هي من وطدت العلاقة بين عناصر الرواية وهي من زادت في شعرية وجمالية النسج الحقيقي للمكان والحدث.

ونجد كذلك في رواية " القمر والأسوار" تلازم وتناسق المكان بمجموعة من الأحداث، حيث نلاحظ وجود مجموعة من الأحداث وقعت في منزل **الشيخ علي** حيث يتبين في الرواية العلاقة الأسرية والتكاتف الاجتماعي وتظهر مجموعة من الأحداث المتمثلة في ضحك الحضور وسعالهم وأصوات ارتشاف القهوة وكذلك همسات الأولى في الباحة الأخرى من البيت حيث يقول الراوي «**تجمع الرجال في باحة منزل الشيخ علي، يضئ مجلسهم فانوس تغطي مبعدة منهم فوق صفيحة**

فارغة .... وكان المجلس يعج بالضحك والسعال وأصوات ارتشاف في الجهة الأخرى من باحة البيت تجمع الأولاد وهم يتحدثون بهمس»[1].

في هذه الفقرة سلسلة من الأحداث التي وقعت في مكان محدد (باحة الأب الأكبر) مشكلة التناغم في بناء هذه الفقرة من الرواية فهذا المكان المفتوح حسيا ومعنويا وروحيا سمح بأن تكون الأحداث ذات طبيعة ودية بين أطراف هذه العائلة، وقد وفق الراوي في توزيعها المنطقي بين الأطراف المتسامرة، فتظهر لنا من خلال رؤية المؤلف هداوة الأولاد في مكانهم الأليف وطبيعة مواضيعهم التي تعتبر أحداث عن اطمئنانهم ففي موضوعهم المطروح وهو الزواج والطلاق عن شخصية (العريف) واحتسائهم للقهوة هو إيحاء حقيقي لطمأنينتهم في مكانهم الّذي يجمع شملهم، فالمكان هنا كان يبعث الراحة في نفوس الحاضرين إذن: نستنتج أن طبيعة هذا الحيز ساهمت بدرجة عالية في التحكم في طبيعة الأحداث مثلا لوكان المكان غير هادئ تشوبه المشاكل أسرية لرأينا بدل ارتشاف القهوة كلام فادحا وأصوات متعالية ويدل الهدوء في تلك الجلسة لوجدنا أن البعض يحمل عصا لإيذاء الآخر.

نجد أن هناك اتساقا وانسجاماوثيقا وتاما بين عنصري المكان والأحداث ، حيث حافظ المؤلف في الرواية " القمر والأسوار" على التسلسل المنطقي، حيث نلاحظ وقوع سلسلة من الأحداث داخل مكان واحد وهو الجامع، وتنوعت هاته الأحداث وهذا ما يبرهن العلاقة المتلازمة بين الأحداث والمكان وقوعها، وهذا مانجده في الرواية «...**وكلنا آنذاك يثرثرون وهما يجلسان على مبعدة من رواد الجامع الآخرين، وقد أديا صلاة الغروب، فمنحهما ذلك الاطمئنان والرضى.... تصور حتى عباس كأنه حدس هذا الموت، والبارحة ارتمى على صدرها باكيا وهو يصرخ لا تموتي مثل ياسر يا أمي»**[2]

نلاحظ سير الأحداث في المكان المناسب فالجامع هو المكان الملائم لتأدية الصلاة والصلاة تبث الراحة النفسية وهذا ما شعر به **حميد والشيخ** حيث نجد الراوي معبرا وقد أديا صلاة الغروب، فمنحهما ذلك الاطمئنان والرضى، ثم نجد مغادرة المصلين للجامع فالمكان هنا حقيقي وما وقع من أحداث حقيقي وغير متخيل ونلاحظ آلام وحزن شخصية حميد وتخوفه من موت زوجته، ومساندة

[1]- القمر والأسوار، ص ص92، 93، 94

[2]- القمر والأسوار، ص203.

الشيخ له وطمأنينته له، ثم مغادرة كل من الشيخ وحميد للجامع، فالمكان في القسم الأول مغلق والأحداث فيها جميلة فأداء الصلاة بث في نفسهما الاطمئنان والرضى وفي القسم الثاني وهو مغادرتهم للجامع نجد تغيير في الأحداث وفق تغير المكان، فقد تحول الاطمئنان والرضى إلى تخوف واختناق والألم وانكسار[1].

نستطيع أن نحكم على نوعية الحدث من خلال التواجد داخل المكان، فالقارئ يمكنه أن يستنتج الأفق قبل وقوعه لأن المؤلف لم يعتمد تقنية كسر الطابوهات (التوقعات) بل وحافظ على الأفق كما هو متعارف عليه عند شرائح المجتمع وهذا ما نجده مجسدا في رواية "القمر والأسوار" فيمكننا توقع الطبخ بعد إشعال النار ويمكننا معرفة أن الشخصية اتجهت لسقيفة الدار من أجل، انجاز عمل ما وهو "**قلي البيضة**" حيث نجد في الرواية «**وسحبت حسنة جسدها الصغير وخرجت متجهة إلى السقيفة الواقعة في زاوية الدار، حيث يخزن الحطب المكون من سعف النخل وفضلات الحيوانات واستخرجت الطباخ النفطي وأشعلته ثم بدأت تقلي البيضة**»[2].

براعة المؤلف في وصفه للأحداث حيث يتضح لنا حياة الفقر من خلال نوعية الحطب وكذلك وصفه لسقيفة الدار، ومن خلال هذا المقطع يتبين لنا العلاقة اللازمة بين الأحداث والمكان فطبيعة المكان هي من تحكمت في الأحداث.

يتواصل الاتصال الديمومي للمكان بالأحداث في رواية الوشم حيث وقعت مجموعة من الأحداث الشخصية واحدة " **كريم الناصري**" في مكان واحد وهو (**المعتقل**) وهذا المكان أجبر على البقاء فيه وهذا ما يوضح ذكاء المؤلف وإبداعه حيث نجد تسلسل منطقي وواقعي (طبيعي) للأحداث وتوزيعها في مكان خاص بها وهذا ما جسد العلاقة المتشابكة بين الأحداث ومكان وقوعها، وقد ورد في الرواية« **جسدي ممدد الآن في هذا المعتقل المحتشد مع هؤلاء الرجال الذين لا يتجانسون مطلقا في ثرثرتهم وشجاراتهم اليومية التافهة، ولست أدرى كيف أنضوي تحت يافضة سياسية واحدة**»[3].

[1]- القمر والأسوار، ص204.

[2]- القمر والأسوار، ص10.

[3]- الوشم ، ص41.

نلاحظ وقوع سلسلة من الأحداث في فضاء مظلم وموحش كما نلاحظ معاناة الشخصية داخل هذا الحيز المغلق إلا وهو "**المعتقل**" فهاته الأحداث أزعجت بطل الرواية.

اتخذ الربيعي من خطابه السردي نمط حواري يتفاعل مع بنية النص وأحداثه ويظهر هذا في رواية الوشم عندما حاورا بطل الرواية جابر وأخبره أنه يريد البحث عن بدايات جديدة ويظهر هذا جليا«**كلما تأزمت الأمور وتعقدت نهرب منها بحثا عن بدايات جديدة هربت من الناصرية إلى بغداد وسأهرب من بغداد إلى الكويت، وربما من هناك إلى أبي ظبي إلى أنقرة ما دمت مطارد على الدوام**».

في هذا المقطع نلاحظ الواقع المرير الّذي عاشه بطل الرواية لأنه مطارد على الدوام وهروبه من مكان إلى آخر بحثا عن الاستقرار فقد هرب من الناصرية إلى بغداد، ثم بدأت بتخيل الوجهات التي سيهرب إليها (**من بغداد إلى الكويت – ومن الكويت إلى أبوظبي أو أنقرة**) نجد تعددفي الأماكن فمنحها المكان الّذي هرب اليه في الحقيقة وهو الانتقال من الناصرية إلى بغداد ومنها الأماكن التي تخيل وقرر الهروب اليها وهي الكويت، أبو ظبي أنقرة، الحدث واحد وهو فرار الشخصية من المطاردات المستمرة وهروبه من الواقع المرير، بسبب تأزم الأمور[1].

[1]- الوشم، ص ص 114- 115.

الخاتمة

الخاتمة

-الرواية العراقية الحديثة قد تعرضت في بعض نماذجها بكثافة شديدة ووعي متفاوت لظاهرة التغيير المنوه به، فركزت اهتمامها الخاص على بواعثه التاريخية، مستخدمة لتحقيق ذلك الأسلوب التحليلي في تفسير التناقضات المتفجرة والمشكلات اليومية قبل الثورة وبعدها

--يمثل إنتاج**الربيعي** مرآة تعكس صورة العراق في الستينيات فكانت روايتيه بمثابة مشهد معبر عن حقبة حساسة مرت بها

-روايتي **الربيعي** صرخة تسمع الكون صوتها لواقع مرير،إنها تصرخ بأن الإنسان موجود على هذه الأرض وهو يعاني من العدم، فهما من الروايات الخالدة التي عرفها تاريخ ، وتعرف القارئ من خلالها إلى شخصيات أبطال كثيرة، كانت تمثل حياة وعوالم وحالات ومواقف شكلت جزءً هاما من الذاكرة الثقافية والوجدانية للقارئ، أثرت على نفسه وروحه، وأضاءت عليه جوانب واسعة من الواقع والذات الإنسانية في ضعفها وقوتها، تشتتها وتوحدها في مواجهة شرطها الوجودي والاجتماعي والسياسي والروحي، في إطار وعيها لذاتها وللعالم من حولها.

- شخصيات **الربيعي** في روايتيه تلك معبرة بوعي تاريخي صادق ومستوى فني مقبول في كثير من الأحيان عن ظاهرة المزاوجة الحياتية بين عالم المدينة وعالم القرية الّذي بدا متقاربا شيئا فشيئا ، وبما يكثف من مظاهر الحياة الايجابية الخيرة وانحسار المظاهر السلبية المتخلفة ، كما بدا ذلك واضحا باستلهامه التراث في جانبه الخير ، لتعميق لوحاته الفنية ، ولا سيما ما يتصل بتوظيف الطقوس الدينية.

و بعد رحلة البحث سنقف على أهم النقاط التي تم رصدها في ضوء دراسة المكان في روايتيّ **الربيعي**:

-يعتبر المكان عنصر مهم في العمل الأدبي، إذ لا يمكن الاستغناء عنه، فلا وجود للرواية من دون المكان، ولا مكان من دون وجود الرواية.

– يشكل المكان البنية الصغرى المحدودة،في حين يمثل الفضاء البنية الكبرى التي تحوي جميع الأمكنة المتخيلة والمرجعية والمبثوثة على امتداد ما

–دراستنا حول روايتيّ الربيعي الّذي اتخذ فيها المكان موقع الصدارة وذلك من خلال عرضنا الثنائيات الضدية بحيث تعبر عن العلاقات بين القيم المتعارضة فنجد(أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة) فاستنادها لهذه العناصر أكسب المكان أبعادا دلالية وجمالية ورمزية، فرغبة المبدع في إقناع المتلقي يرجع إلى مدى استعانته باستراتيجية المكان، ليدعم المضمونة

–كانت الهيمنة للأمكنة المفتوحة فشخصيات روايتيّ الربيعي تميل إلى هذا النمط من الأمكنة التي تتسم بانفتاح الشكل الهندسي للمكان وعموميته، وكذلك بسبب من طبيعة الشخصيات الهاربة من بيوتها ومدنها وواقع القمع الّذي فرضه الواقع الستيني للعراق،مما جعلها ترتاد هذا النمط للتنفيس عما تشعر به من ضيق وانحباس

–يمتاز المكان بأهمية كبيرة في بناء الرواية، لأنه العمود الفقري والركيزة الأساسية في العمل الروائي.
– أن تلاحم وانسجام عناصر السرد يتحقق بفضل المكان، فالمكان عنصر جوهري وليس ديكور للأحداث فقط.

–البناء الجيد للمكان ساهم في خدمة مكونات الرواية خصوصا الشخصية ، مما ساعد على إنتاج أمكنة مشتركة بفعل دلالة المكان وتفاعل الشخصية .

–تنشئ علاقة متوالية بين المكان والزمان عبر أحداث الرواية، فالزمان يتأسس مع المكان،والمكان ينمو في أحضان الزمان ،لذلك لانجد عملا سرديًا خاليا من أحدهما.

–أن الحدث يمثل محور الموضوع الرئيسي في جملة المواقف التي تجسدها الشخصيات، وفق إطار زماني ومكاني محدد.

أما ختامنا، فنتمنى أن يكون بحثنا هذا قد أحاط ما سطرنا، وبطبيعة الحال ليس كاملا، فالدراسة لا يمكن أن تكون لها نهاية، مهما طالت يد الباحث.

الملاحق

الملاحق

1-التعريف بالروائي"عبد الرحمن مجيد الربيعي":

ولد عبد الرحمن مجيد الربيعي عام (1939) بمدينة الناصرية، إحدى مدن جنوب العراق، درس الفن في معهد الفنون الجميلة في بغداد، وتخرج فيه حاصلاً على دبلوم بالفن سنة(1958) ، عاد إلى الجنوب ومارس مهنة التدريس لعدة سنوات[1]

انتقل مرة أخرى إلى بغداد عام (1962) ليكمل دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة –قسم الرسم، تفرغ للعمل الصحفي بدءاً من العام(1968) ، فأشرف على تحرير عددمن الصفحات الثقافية في الصحف العراقية، من بينها صحيفة الأنباء الجديدة، والفجر الجديد، وساهم لعدة سنوات في كتابة البرامج الثقافية للإذاعة، كما أشرف على مجلة (الأقلام) التي تصدرها وزارة الثقافة والإعلام العراقية

سافر إلى القاهرة أواسط السبعينات، والتحق بالمعهد العالي للتذوق الفني لإعداد رسالة بعنوان "جواد سليم ومدرسة بغداد للفن الحديث"، ولكن له صديقاً له وهو الناقد الدكتور عبد المنعم تليمة الّذي كان يحاضر في ذلك المعهد أفشل مشروعه –كما يقول الربيعي– قائلاً له: "ما حاجتك للماجستير والدكتوراه يا عبد الرحمن، دع الآخرين يكتبون عنك واحمل أغراضك وعد إلى بغداد وواصل الكتابة(5)"، وربما تكون هذه النصيحة هي المفصل الّذي شكّل انعطافاً هاماً في مسيرة الربيعي الأدبية، فقد أصغى لهذه النصيحة واضعاً حداً لطموحه الأكاديمي، وملقياً بفرشاة الرسم جانباً، ليتفرغ تماماً إلى الكتابة التي أجاد فيها، وهذا ما نلاحظه فيما بعد من خلال مؤلفاته الكثيرة في القصة والرواية والنقد، كما تحققت نبوءة صديقه الدكتور عبد المنعم –على حد قول الربيعي– بقوله: "ووجدت أعمالي القصصية والروائية (هوى)[2].

[1] مبروك موسى الحماديناالروائي ناقداً "عبد الرحمن مجيد الربيعي نموذجاً"، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه، في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابه ، جامعة مؤتة ، الأردن، 2011، ص05

[2] المرجع نفسه، ص 06

2-أهم مؤلفاته الروائية

1) الوشم، ط5، دار المعارف، سوسة(تونس)، 1996
2) الأنهار ط4، دار الأقواس ، تونس، 1991
3) القمر والأسوار ، ط4، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986
4) خطوط الطول.... خطوط العرض، ط 2 ، دار المعارف، سوسة(تونس)، 1993
5) الوكر، ط2، دار المعارف، سوسة (تونس)، 1994
6) عيون في الحلم، ط1، الرواية مستقلة في كتاب بعد أن صدرت مع مجموعة قصصية بنفس العنوان، منشورات دار سحر، تونس ، 1996[1]
7) نحيب الرافدين، صدرت عام (2009)، عن دار الأدب اللبنانية، وكان اسمها الأول المقترح هو "كلام الليل".
8) فج الرياح،(معدة للطباع).[2]

3-علاقة المكان بالعنوان في رواية الوشم

تصور الرواية حياة المثقف السياسي المتأزم نفسيا و المطارد من قبل السلطة،يوم كان العراق يعج بالانتفاضات و الثورات في الستينات من هذا القرن ، و يتابع الربيعي تلك الأحداث في رواية الوشم عبر تناول حياة بطلها كريم الناصري ووقع تلك الأحداث علىنفسيته بعد خروجه من المعتقل وفي أثناء اعتقاله؛ ليخرج الربيعي ببطله وهو غارق فيأزمته بعد أن أحس كريم الناصري حال إطلاق سراحه من المعتقل بوقع الهزيمة و زيفالادعاءات التي روج لها، ليخرج بالنتيجة موشوما بالخيبة السياسية و يبقى مطاردا على الدوام لإحساسه بأن شيئا في داخله قد نسفه[3].

مسوغا رحيله عن مدينته،بعد إطلاق سراحه من المعتقل و انهزامه في قوله لصديقه حسونالسلمان: "ولماذا أعود: كيف نطيق إظهار وجوهنا الصفيقة للناس".

[1] الوشم ، المصدر السابق، ص132
[2] عبد الرحمن مجيدالربيعي، الخروج من بيت الطاعة، وكالة الصدفة العربية، ناشرون، بيروت لبنان، ط2، 2010، ص406
[3] رواية الوشم، ص7

وبالفعل يرحل الناصري بسبب من طبيعته البرجوازية و الانهزامية ، ويسقط فيالجولة الأولى من المنازلة ببراءة اعتراف كانت ثمنا لإطلاق سراحه من المعتقل، اعترفيها على كل من كان معه في العمل السياسي بغية الخلاص من المعتقل[1].

ولكن أي خلاص تنشده تلك الشخصية الغامضة التي خرجت موشومة بالخزيوالعار و الانكسار، بعد أن أحس الناصري أنه خائن لمبادئه خائن لمدينته فما كانت بغداد التي قصدها إلا سجنا أكبر".هل سيأتي يوم أترحم فيه على أيام الاعتقال و أعتبرها أكثر أيامي هدوءً؟[2] "لفشله في إذابة عذابه في زحمة مقاهيها و شوارعها و نسائها .

أما المعتقل فهو أحد الوسائل الإرهابية التي مارستها السلطة في خصم الصراعات السياسية آنذاك التي تابعه الربيعي لا بتفصيلاته المادية بل عبر وقعه على الشخصية "كريم الناصري" فخرجتموشومة...محطمة...تلوه بثقل جراحاتها و عذاباتها.

ورواية الوشمتستقي عنوانها من ذلك كله من المكان "المعتقل"، الذي أصبح معتقلا تقليديا يهدد الإنسان في تلك الحقبة العصيبة، ليجيب الربيعي في روايته عن أسئلة عدة: أولها وقع هذا الردع المكاني على الشخصية؟ متابعا الشخصية داخل المعتقل و خارجه،و لكن الخارج لم يظل خارجيا بل هو محكوم بفعل الداخل و أثره "المعتقل"،فكان ذلك الوشم الذي شوه صورة الناصري حتى بعد خروجه من السجن، ليعلن بعد ذلك إلى الكويت: "إنني مسافر غدا إلى الكويت "لا لشيء بل لغسل أدران الجسد والروح من ذلك الوشم.

ونجد أن الربيعي عندما اختار هذا الأنموذج من الشخصية-شخصية المثقف السياسي- جاء لكونها من أكثر الشخصيات استجابة و تفاعلا و انفعالا مع الأحداث السياسية التي كانت المعتقلات هي الرادع لطموحاتهم و الكابحة لثوريتهم في الأعم الغالب .

فجاء العنوان"الوشم" موحيا بطبيعة الشخصية و نفسيتها لسبب بسيط هو أن الربيعي لم يصور الشخصية الثورية التي انتصرت و فلحت في مسعاها أو حاولت أن تفلح.

---

[1] رواية الوشم، ص84

[2] المصدر نفسه، ص106

فقد خرج بطله موشوما ينوء بأحمال الشهور السبعة التي قضاها في المعتقل، و لو أنه جسد شخصية البطل الثوري لكان المعتقل ضريبة متوقعة و تضحية لابد منها بوصفها جزءا منمتطلبات العمل النضالي و تسليما بهذا الافتراض فلا وشم في رواية الوشم .

ولكن الربيعي اختار أنموذجا يمثل البطل السلبي الذي لم تكتمل في داخله مؤهلات الثوري المناضل فهو يحسب النتائج بمنطق الفردية والذاتية التي تتنافى و شخصية الثوري[1] "نادبا حظه لأول تجربة اعتقال خاضها.

وحاولت رواية الوشم على الرغم من الذاتية التي تغلقها أن تكشف عن عدد من الوجوه الموشومة في تلك الحقبة، وما الناصري الذي تناوله الربيعي في رواية الوشم إلاواحد من تلكالوجوه الكثيرة التي دنسها المعتقل ووشمها، وجاءت رواية الوشم العنوان و المضمون لتكون شاهدا و ضحية على ذلك التاريخ الساخن.

والعنوانيرتبطبالبنيةالمكانيةبصورةتأويلية،أيفيضوءارتباطالمكانبالعنوانأوقراءةالعنوانقراءةمكانية،وعلاقتهبمضمونالروايةوصورةالبطل،وفضلاعنهدانجدأنللعنوانعلاقةبالمكانالذيشكلجزءامنأمكنةالروايةوهوالمبغى،إذيمثلالمحورالثانيالمنصوصعليهالذييرتادهالناصريبعدخروجهمنالمعتقللللتعويضعنالخيبةالسياسيةالتيمنيبهابيدأنالمكان"المبغى"ليكنالمكانالبديلأوالتعويضي،كماأعلندالكريمالناصريلصديقهحسونالسلمان:"هلبإمكانأنتكونالمرأةتعويضاكاملاعنالخيبةالسياسية؟.... ولكنأيةامرأةتقدمذلك؟" [2]

لينقلبذلكالوشمالذيطرزتبهتلكالعاهرةجسدهاإلىمدعاةللترفيؤديبالنتيجةإلىهربالناصريومبارحتهالمكان،ليشكلانهزامهمهدااانهزاماآخرتماثلمعانهزامهوانكسارهالسياسيفتزامنبذلكالعهرالواقعمعالعهرالرمزالذيلحقبكريمالناصربعدفشلطموحهالسياسيفيأولمنازلةحقيقيةمعالسلطةالتيزجتبهفيالمعتقلالذيوشمحياةكريمالناصريبوشمكهذاالوشمفيجسدالعاهرة.

[1] ينظر:عبد الرحمن مجيد الربيعي و البطل السلبي في القصة و الرواية العربية المعاصرة، أفنان قاسم ،ص358

[2] رواية الوشم ، ص 16

ونستخلصمنالاستنتاجينأنللعنوانارتباطابالمكانبصورتين،الأولىغيرمباشرةتمثلتفيالمعتقلوهوماستنبطناهمنالفكرة العامةللروايةودلالتها،أماالصورةالثانيةفهيالصورةالمباشرةالتيترتبطبالمكان"المبغى"،إذتنصالروايةعلىعلاقتهبالعنـ وانكمافيهذاالنص:"وعندماطرقالبابفتحهعجوزمنتشحةبالسوادوقالت:

ليستعندناإلاواحدةودخل .

وبعدقليلجاءتهالواحدة،كانتبدينةكبقرة،يتدلىعلىظهرهاشعرطويلمنقعبزيترخيصوعلىعنقهاالمكتنزقافلةمنالوشـ م...وجلستبجانبهكاشفةعنفخذينمطرزينبالوشمأيضاهماسلاحالإغراءلديها...ولمادنىمنهاشعربغثيانفظيعفهـ بواقفاثمبصقوانصرفلتستقبلهاالشوارعالجائعةثانية"[1].

4-علاقة المكان بالعنوان في رواية القمر والأسوار

أما عن ارتباط البنية المكانية بالعنوان، فالربيعي يتخذ من المكان الزقاق الذي يعاني من الفقر والجهل رمزا يكشف فيه عن سيطرة السلطة الرجعية على أهل الزقاق لها، وعلى الرغم من الإصلاحات والتطورات التي حصلت فيه فإنها لا تشير مطلقا إلى وعي أهل الزقاق لها، بأنالاصطلاحات جاءت من الحكومة: "الله يطيل عمر الحكومة، قتلنا ماء النهر، كله وساخة ودود وطين."[2]

والعنوان يؤدينا إلى موضوع الرواية وفكرتها من جهة ويرتبط بالمكان من جهة أخرى، فالأسوار التي وردت في العنوان ترمز إلى المكان الزقاق وما يعانيه من مشكلات.

وقد كانت هذه الأسوار عائقا أمام بلورة وعي حقيقي لأهل الزقاق نتيجة لتخبطهم ولهاثهم وراء تأمين ما يكفي لمعيشتهم، ونلاحظ حالة من الاقتران بين تطور أحوال الزقاق المادية وارتباطها بالشخصيات وتصاعد الوعي القومي والوطني فبعد أن شيدت المدرسة أثيرت مجموعة من الأسئلة حول القصية الفلسطينية.[3]

[1] المصدر نفسه، ص 39-40

[2] -رواية القمر والأسوار،ص55.

[3] -ينظر: القمر والأسوار،ص86.

فضلا عن بناء المسجد ووصول الكهرباء التي أدخلت معها الأجهزة الإذاعية وأسهمتفي تعميق الوعي القومي والوطني وأخذ هذا الوعي يمتد إلى نساء الزقاق اللاتي أخذن يتحدثن عن القضية الفلسطينية والعدوان الثلاثي على مصر.[1]

فإذا كان القمر يتجسد في هذا الوعي الصاعد، فالأسوار تتمثل في افتقار الزقاق للخدمات الاقتصادية التي شكلت بدورها معيقات حجمت من دور أهالي الزقاق في بلورة وعيهم تجاه قضاياهم ولاسيما لدى أبناء الجيل الأول من أهالي الزقاق-كما أشرنا- قد أخذ هذا الوعي يتصاعد مسايرا التطورات التي حصلت في الزقاق، وباتت اشراقة القمر وشيكة محاولا تجاوز الأسوار، وتحقق هذا واقعيا مع تقادم الزمن وبفعل التطور المادي للزقاق-ولاسيما بناء المدرسة[2].

كما حصل في بناء الجسر ووصول الماء والكهرباء"[3]، فبدأ رضوخ أهل الزقاق لهذا الوضع المزري و المخزي المتمثل في التخلف العمراني للزقاق واحدا من الأسوار التي تحجم دورهم وتعيق انطلاقة القمر في رواية القمر والأسوار.

5-قراءة وملخص رواية الوشم "عبد الرحمن مجيد الربيعي"

تنحصر أحداث هذه الرواية بين عامي 1958 -1967 عند قيام الثورة والانقلاب على الحكم الشخصية الرئيسة للرواية "كريم الناصري" مثلت هذه الرواية الواقع المرير والانحصار الداخلي لشخصية البطل لهذا سميت بالوشم، ويمثل كريم نموذج البطل السلبي الّذي لم تتكتل في داخله مؤهلات الثوي المناضل ، فهو يحسب النتائج بمنطق الذاتية والفردية نادبا حظه على أول تجربة اعتقال خاضها وحاولت رواية الوشم أن تكشف عن عدد من الوجوه الموشومة في تلك الحقبة ، والناصري الّذي تناوله الربيعي واحد من تلك الوجوه التي دنسها المعتقل ووشمها ، واستعمل الوشم في هاته الرواية باعتباره إشارة أشد مميزاتها أنه واقع لا يمحى وأنه ثابت على الدوام ويحمل دلالات على أنه وصمة ورمز لفعل شنيع وسقوط وعمل لايغتفر، فانهيار الناصري وانهزامه تحت ضغط السلطة الحاكمة واعترافه بضلوعه وتورطه في نظام سري مناهض للحكومة ، ثم كشف عن هوية أصدقاءه المتآمرين كل هذه الأشياء ترقى إلى وشم مجازي غير قابل للمحو.

[1]-ينظر، نفس المصدر،ص223

[2]- ينظر: المصدر نفسه،ص52-189-271.

[3]- ينظر نفس المصدر،ص52-189-271.

فقد غادر كريم السجن دون ضرر بدني ولكن منكسرا ومنهزما ، وكان السجن اختبار فشل فيه بشكل بائس ، حيث استمر شبح هزيمته يطارده على خلاف رفقائه الذين نجحوا في تبرير انهزاميتهم ثم يسافر كريم لبغداد محاولا إتباع سبل تعوضه عن فشله السياسي ، فسع لربط علاقات بالنساء ، ولم يلبث إلى أن أصبح على علاقة بمريم وهي امرأة تزامله في العمل ومتزوجة فكان يميل إلى تنزيها وكان يأمل أن علاقته بمريم يمكنه أن تطهره من الرجس "تطيره من خيانتهللقضية والرفاق" سرعان ما تتحول صداقته إلى عداء وكراهية عندما استسلمت له ، فإن سلوك الخيانة لدى مريم "بالنسبة لزوجها" يعكس خيانته للحزب الّذي ينتمي إليه ، وليست مريم وحدها التي من تذكر كريم بماضيه الملوث بل هناك شخصية أخرى وهي يسرى توفيق هذه الشخصية أوضحت انهزامية كريم ، لأنه كان يطاردها ويعرض عنها الزواج ، فرفضته في البداية وبعدما استجابت لإغراءاته ودعته لطلب يدها من أهلها تراجع وزعم أنه لا يريدها أن تربط حياتها بشريد مثله ، غير أن هذا التشرد من فعله هو شخصيا وهذا يوضح موقفه الانهزامي ويمله من الهروب من المواجهة وحالما يقطع علاقته بيسرى يقرر مغارة العراق والذهاب إلى الكويت .

– وهناك شخصيات محورية فهناك حسون السلمان صديقه، فحسون هو تلك النفس الطاهرة المؤمنة التي كان يلجأ إليها كلما اشتدت غيبته وهنا شخصية علوان الحلاق ذو الصوت الجميل الّذي كان يشكل الألم العاطفي

وتشكل الرواية خلاصة معاناة الربيعي كمعاناته مع المرأة كتعويض عن السياسة، ثم الهروب من المكان كتعويض آخر ، فالرواية تلخص حياة الشخص المحبط المنكسر.

6–قراءة وملخص رواية القمر والأسوار"عبد الرحمن مجيد الربيعي"

رواية القمر والأسوار رواية سردية تؤرخ للحقبة التي تشهد بداية نشوء الأحزاب الوطنية والقومية في العراق قبيل ثورة 1958، أو بالأحرى الواقع المجتمعي المعدم والمقمع الذي تمخض عنه نشئ يصارع ما بين مبادئه وحقوقه وبين الغزو الفكري وسياسة القمع ،كما هو حال معظم الدول العربية في ذلك الوقت.

حيث أخذنا الربيعي بأسلوب سردي متين في رحلة من الأحداث الواقعيةوبشخصيات معبرة عن تلك الحقيقة، وبوعي تاريخي صادق، استطاع القاص أن يمنحه لأبطاله عن طريق المزاوجة الفنية بين عالم المدينة وعالم القرية، الذي أخذ بالتقارب شيئا فشيئا. فالربيعي في روايته (القمر والأسوار) حاول أن يكون عند مستوى مسؤولياته الفنية والتاريخية في آن واحد، فقد عالج فيها – بأسلوب فني

تحليلي – مشكلة عدد من العوائل الفلاحية النازحة من قرية (أبو هاون) منهم الفلاح (حميد) و(الشيخ علي)هروبا من جو الإقطاع إلى مدينة الناصرية. رغبة في العيش تحت ظروف أفضل – وهي تواجه عالم المدينة المتطور وطبيعة تفاعلها مع هذا التطور، حيث سكنوا الأكواخ وبيوت الطين والقصب، فتصور الرواية انعكاسات هذا الوعي على أبناء مدينة من مدن العراق وبالذات على زقاق من أزقتها، وعبر تقادم الزمن يشهد الجيل الثاني من أبناء هذا الزقاق وعيا سياسيا ملحوظا متمثلا في مشاركة أبنائه في كتابة اللافتات المناوئة للسلطة والمشاركة في التظاهرات ولصق المنشورات، فبعد أن كان أبناء هذا الزقاق مكبلين بقيود الخوف والجهل ومحاطين بمجموعة من (الأسوار) المتمثلة في التخلف السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، أخذ الجيل الثاني (عزيز وكامل ،عباس وهاتف) يشهد بداية ميلاد وعي حقيقي والتبشير بميلاد قمر جديد يحاول أن يتجاوز الأسوار في رواية القمر والأسوار، فكان الجيل الثاني أكثر وعيا وتحررا، فهذا (عزيز) لا يجد في موت زوجة خاله (حسنة) بسبب مرضه الذي حملته معها من الريف إلى المدينة صورة كافية لإدانة الواقع في الريف. بل يعتبرها (شهيدة) للظلم والاستغلال الطبقي عامة، حيث يتجاوز ذلك إلى المدينة التي وجدت في صدر حسنة أهلا لاستقبال دائها الأكبر بسبب الإرهاق وسوء التغذية والقلق الكبير، فماتت ولم تسعد بتحقيق حلمها بتخرج ولديها والعيش في بيت من الطابوق، مما دفعه ذلك أن أكمل دراسته الإعدادية في مدينته ويذهب إلى بغداد لإتمام الكلية، وهناك يشارك في التظاهرات وينتمي إلى أحد الأحزاب الوطنية ويشق له طريقا واضحا من أجل النضال، وهذه الانتقالات من مكان إلى آخر أعانته في أن يبلور له منهجا عقائديا ثابتا وتوحي بتجاوز القمر للأسوار بخطى مكانية،وكامل أيضا يمر بسلسلة من الانتقالات المكانية التي تمثل حركة من الداخل باتجاه الخارج بعيدا عن الأسوار والحصار.

وهنا تكمن براعة القاص الفنية، فهو يعرض الواقع منطلقا من تمثله لظروف المرحلة التاريخية باختياره لأحداث بذاتها، مستثمرا ملاءمة الزمان والمكان فضلا عن معطيات البيئة الاخرى، غير أننا لا نجد صعوبة في اكتشاف موقف القاص المنحاز من خلال الحوارات القوية التي اختارت التغيير نحو الأفضل، وعلى أية حال فقد عبرت الرواية بتأكيدها على السرد القصصي التقليدي، وعلى الوصف المتين المتماسك للشخصيات القصصية، ثم الرصد الاجتماعي الذي لا يستهان به عن الشيء الكثير من مزاج العصر. وسعت إلى أن تكون معنية بشخصيات ذات أحاسيس متميزة وعادات شخصية

متفاوتة، حققت جانبا كبيرا من أبعادها الفكرية ضمن الإطار الفني العام والمقبول الذي اختاره الروائي سلفا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

➢ المصادر

1- القرآن الكريم

2- عبد الرحمن مجيد الربيعي، الوشم ، مطبعة النجاح الجديدة ، منشورات الزمن، الدار البيضاء ، المغرب، د-ط، 2002

3- عبد الرحمن مجيد الربيعي، القمر الأسوار ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986

➢ المعاجم والقواميس

1. أبو الفاضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي ابن منظور لسان العرب، المجلد 6، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ط 1 ، 1997 .

2. السيد محمد مرتضي الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس ، المجلد 18، دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع ،بيروت لبنان ،ط1، 1994

3. المعلم بطرس البستاني محيط المحيط ،قاموس مطول للغة العربية،مكتبة لبنان ساحة رياض الصلخ، بيروت، ط1991

4. زيتوني لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 2002

5. فيصل الأحمر، معجم السينمائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2001

➢ المراجع

1. احمد حفيظة ، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية ، دراسة نقدية ، مركز أوغاريت الثقافي ، فلسطين ، ط1 ، 2007 .

2. أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

3. أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2005.

4. أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، د-ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، دت.

5. أحمد محمود فرح، البنية السردية في النص العجائبي، دراسة في القص العربي حتى نهاية القرن السابع (معالجة فنية تحليلية)، مؤسسة حوس الدولية للنشر، الإسكندرية ، مصر، 2016
6. أسماء شاهين، جماليات المكان في رواية حبرا إبراهيم جبرا، دار الفرارس، الأردن، ط1، 2001
7. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظريةوالتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2015
8. أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية "دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع 2009.
9. الجرجاني علي بن محمد، التعريفات تحقيق:إبراهيم الأنباري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1998 .
10. حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1990، ص33.
11. حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، العراق، ط1، 1987
12. حسن نجمي، الشعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، د-ط، 2000.
13. حميد عبد الوهاب البدراني، الشخصية الإشكالية مقاربة سوسيو ثقافية في خطاب أحلام مستغانمي الروائي دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، بيروت، 2013 .
14. حميد لحميداني،بنية النص السردي"من منظور النقد الأدبي"،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدارالبيضاء،المغرب. ط3. 2000.
15. خضر محجرة، تقنيات السرد الروائي، محتوى الشكل وأنماط الراوي في ثلاثية السرد عبد الرحمن منيف أرض عطية للنشر والتوزيع، غزة ، فلسطين، ط1، 2014.
16. رفقة محمد دودين،خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة ، منشورات أمانة عمانالكبرى، عمان ،(د-ط)،2007.
17. سعيد يقطين، قال الرواي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997.

18. سمير رزوقي وجميل شاكر،مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا،دط،ديوان المطبوعات الجامعية،الدار التونسية للنشر،الجزائر،دت.
19. سيدي محمد بن مالك، السرد والمصطلح،ط1، دار ميم للنشر، الجزائر، 2015.
20. سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د–ط، مكتبة الأسرى، 2004.
21. سيزا قاسم، يوري لوتمان وآخرون، جماليات المكان عيون المقلاة باندونغ للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1988.
22. شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان، ط 1 ،1994.
23. الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2010.
24. صبيحة عودة زعرب،غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي،ط1، دار مجدلاوي، عمان 2006.
25. الصفدي عالية أنور: شعرية الأمكنة في روايات يحيى يخلف، المعتز للنشر والتوزيع، الأردن ،ط2008،1.
26. عبد الرحمن مجيدالربيعي، الخروج من بيت الطاعة، وكالة الصدفة العربية، ناشرون، بيروت لبنان، ط2، 2010.
27. عبد الرحمن مجيد الربيعي و البطل السلبي في القصة و الرواية العربية المعاصرة، أفنان قاسم.
28. عبد المالك مرتاض ، الف – باء تحليل مركب القصيدة " ابن ليلاي، لمحمد العيد"، د–ط، دار الغريب للنشر،2004.
29. عبد المالك مرتاض:تحليل الخطاب السردي،معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لزقاق المدن،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1995.
30. عبد المالك مرتاض:في نظرية الرواية"بحث في تقنيات السرد"،سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت،ديسمبر1998.
31. عبد المالك مرتاض، شعرية القص وسيميائية النص ، تحليل مجهري لمجموعة تفاحة الدخول إلى الحبة، د–ط، البصائر للنشر والتوزيع ، دت، وهران.

32. عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
33. فهد حسين: المكان في الرواية البحرينية (دراسة في ثلاث روايات: الجذوة – الحصار- أغنية الماء والنار)،فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط1 ،2003
34. مجمع اللغة، المجمع الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،القاهرة ، دط، 1983.
35. محبوبة محمدي أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، دراسات في الأدب العربي، منشورات السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط1.
36. محمد جبريل، مصدر المكان دراسة في القصة والرواية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، ط2، 2000.
37. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية نظامية ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، دط، 2011.
38. ياسين النصير،الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد،(د،ط)، 1980 .
39. ياسين النصيرة، الرواية والمكان، سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
40. عبد الحميد بورايو ، منطق السرد ، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة ، منشورات السهل ، الجزائر العاصمة ، 2009 .

➢ المراجع المترجمة

1-جرار جنيت واخرون، الفضاء الروائي، تر: عبدالرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.
2-ساروت ناتلي، عصر الشك، تر: فتحي العشري،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر،ط1، 2002.
3-غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،ط2، 1984.

➢ المجلات

1. مدقن كلثوم، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال ، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، عدد4، ماي 2005.
2. مدقن كلثوم، دلالة المكان في الرواية موسم المجرة إلى الشمال للطبيب صالح، مجلة الأدب واللغات ، جامعة ورقلة ، الجزائر، العدد4، ماي2005.
3. لوتمانيوري، مشكلة المكان الفني(المكان والدلالة)، تر:سيزاقاسم، مجلة ألف، العدد6، 1986.

➢ مذكرات التخرج

4. جوادي هنية، "صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الأدب واللغات ، قسم الأدب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013.

5. مبروك موسى الحماديناالروائي ناقداً "عبد الرحمن مجيد الربيعي نموذجاً"،رسالة مقدمةاستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه، في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابه، جامعة مؤتة ، الأردن، 2011.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر

مقدمة.....**أ–ج**

المدخل: ماهية المكان

1–المكان.....4

أ– لغة.....4

ب–اصطلاحا.....6

2–مفهوم المكان الروائي: الفضاء.....10

أ–الفضاء الروائي.....12

ب– الحيز الروائي.....13

الفصل الأول : أنماط المكان وأهميته في روايتيّ الربيعي

تمهيد.....17

1–أنماط المكان 18

2– ثنائية المكان المفتوح والمغلق.....19

أ– المكان المفتوح.....20

ب– الأماكن المغلقة.....29

3– أهمية المكان.....36

الفصل الثاني: علاقة المكان بمكونات السرد

تمهيد.....39

1–علاقة المكان بالزمان.....40

2–علاقة المكان بالشخصية.....45

3–علاقة المكان بالأحداث.....52

الخاتمة.....61

الملاحق.....64

قائمة المصادر والمراجع.....74

فهرس الموضوعات

ملخص

ملخص

واكبت النماذج الروائية المختارة الواقع بامتياز، فعبد الرحمن مجيد الربيعي شكل انسجام عالمه السردي من صلب التفكك الذي عايشه العراق، ومن عمق المعاناة سرد لنا أحداثها، ذلك أن المجتمع العراقي شهد تحولا ظاهرا في واقعه الاقتصادي اثر التحولات السياسية المتلاحقة وهذا ما تحمله الروايتين بين طياتها وتلخص مشاهدها .وسعينا في دراستنا هذه إلى الكشف عن عماد من الأعمدة السردية وإبراز أهميته في إقامة دعائم الرواية والوقوف على جمالياته ، ولأن المكان في النص الروائي يتجاوز كونه خلفية تقع عليها أحداث الرواية ، فهو المساهم في إعطاء روح لها فلا رواية دون أمكنة تتنوع وتتغير بين المفتوح والمغلق من أجل إضفاء عنصر الحركة فيها والتجدد في الأزمنة وأحداث الرواية، فتتلاحم هذه العناصر السردية وتخرج لنا عملها الفني في أجمل إطلالة وأبهى حلة.

Abstract

The selectednarrative models expressed reality in an excellence. Abd al-RahmanMajeed al-Rubaie his harmony of his narrative world was formed from the core of the disintegration that Iraq lived through, and from the depth of suffering he told the story, because Iraqi society witnessed an apparent shift in its economic as a result of the successive political transformations and this is what the two novels carry in their folds.

In our study, we try to uncover a mainstay of the narrative and highlight its importance in establishing the mainstays of the novel and its aesthetics, and because the place in the narrative text goes beyond being a background of which the events of the novel take place, that gives the novel a soul . and the element of movement and scene of time, so that these narratives produce an artistic work in the most beautiful way